الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: (لسانيات تطبيقية)

المرجعيات اللسانية والفكرية في رواية "رائحة خبز الصباح "للدكتور عيسى مومني ، دراسة لسانية

مقدمة من قبل:
الطالب (ة): **مريم عبداوي**
الطالب (ة): **سارة هدار**

تاريخ المناقشة: 12 / 07/ 2021
09-10 حجرة:**01**

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
الطاهر نعيجة	أستاذ محاضر "أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
العياشي عمـيار	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
أمينة جاهمي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مناقشا

السنة الجامعية: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى محمّد بن عبد الله...الرّسول الخاتَم؛ والمُبشر بالنّهايات الكُبرَى؛ والمُخلِّص الأعظم؛ حين انصرفتْ عنك قلوبُ الإنسِ صرفتْ اللهُ إليك قلوبَ الجنّ حتّى وددتُ لو أنّ لي قلب جنّيّ؛ لأحظى بفرصة الاستماع إلى الحروف السّاحرة يتلوها فَمُكَ المُطهّر.

إلى أبي الذي رسمني وأمي التي لونتني؛ أعز الناس وأقربهم إلى قلبي، اللذان كانا عونا وسندًا لي، وكان لدعائهما المبارك أعظم الأثر في تسيير سفينة البحث حتى ترسو على هذه الصورة.

إلى رفيق الدرب الذي خطى معي خطواتي ويسر لي الصعاب

زوجي الحبيب "ياسين" لا أراني الله مكروها فيك يا سيد العطاء.

إلى إخوتي عماد، عامر، لميس، وفقهم الله في مشوارهم الدراسي وأداهم الله عليهم الصحة والعافية.

الى صديقة وفية لم تتخلى عني يوما "وئام" وجميع الأصدقاء.

إلى كل من علمني حرفا أصبح سنا برقه يضيء الطريق أمامي.

سارة هدار

إهداء

إذا كان الإهداء يعبر ولو بجزء عن الوفاء فإهدائي:

إلى التي حملتني في أحشائها وعمرتني بدعواتها إلى ملكة الحنان وأمل الغد أمي الغالية(مليكة) حفظها الله وأطال عمرها

إلى الذي أنار لي درب العلوم وأوصاني بنعمة الأخلاق أبي الغالي (عبداوي محمد) حفظه الله ورعاه

إلى الذي جعل الله بيني وبينهم صلة لا تنقطع أبداً أخوتي الأعزاء(زين الدين ، أسامة، فوزي)

إلى من أخذ بيدي ورسم لي الأمل في كل خطوة مشيتها، إلى زادي وسندي في الحياة زوجي العزيز (فارس أمين)

إلى والدي الآخرين (والدي زوجي) الحاجة فاطمة والحاج محمد الصالح حفظهما الله ورعاهما

إلى الذين غابوا عنا وتركوا لنا فراغ وحزن كبير إلى أرواح أجدادي

(فاطمة الزهراء، عيسى عبداوي، معيزي لخضر) رحمهم الله

إلى صاحبة القلب الحنون والصدر الرحب جدتي العزيزة (حورية) حفظها الله

إلى كل الاهل والأقارب والجيران والأصدقاء دون استثناء

عبداوي مريم

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...وبعد:

نشكر أولا وأخيرا الله سبحانه وتعالى على نعمته العظيمة ونحمده على فضله علينا بإتمام الدراسة ونرجو الله أن ينتفع بها كل من يطلع عليها.

ويسرنا أن نتقدم بأوفر معاني الشكر لكل من ساعدنا على إعداد هذه الدراسة ونخص بالذكر الأستاذ القدير "عمار العياشي" والذي أعطى هذه الدراسة كثيرا من وقته حتى اتمامها بشكل نهائي.

ولا أنسى الزملاء والأصدقاء وأيضا أشكر جميع الأساتذة من جامعة" قالمة –كلية الآداب واللغات" وكافة طلاب الجامعة

وفي الأخير كثيرا من الشكر "للوالدين الكريمين" .

مقدمة

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

الحمد لله الذي كرَّم العربية فجعلها لغة كتابه العزيز، وجعل القرآن الكريم مادة قوية لحفظها، والحفاظ عليها، وبقائها واستمرارها وتعدُّد أغراضها ومناحيها وألفاظها، فسبحان من حفظ العربية بقرآنه وبيانه، وجعلها مفتاحا لمعرفة دقائق أسرار كتابه وبعد:

يَعُدّ كثيرٌ من الدارسين علمَ اللسانيات قاطرة علوم الإنسان لكون اللغة أهمَّ الظواهر الإنسانية، والنصُّ من حيث هو المظهر الطبيعي للغة، معدود في محور هذه العلوم ومن أجل ذلك عمل اللسانيين في المراحل المتأخرة على توجيه الوصف اللغوي نحو ظاهرة النَص في سبيل فهم أعمق لقوانينها، وكان هذا مبتغى اللسانيات النصية فالممارسة اللغوية تقترح مخزونا غير محدد من الملفوظات التي تدخل في فلك النص لهذا كانت المعارف اللغوية التي أثمرها البحث النصي، على أهميتها وثرائها نسبية منقوصة.

ومن الإشكاليات الرئيسية التي أفرزها توجه اللسانيين نحو توصيف اللغة في مظهرها الطبيعي قضية المرجعية، مفهوم كثر الكلام عليه بعد "فردينان دي سوسير"، على مدى المدارس اللسانية التي تلت انتشار محاضراته في أنحاء العالم، بوصفها سمة ملازمة للإطار الطبيعي لتوظيف اللغة وهو التواصل، إذ لا يخلوا موقفٌ تواصلي من إحالات ومرجعية تحدّد مسار التأويل وتفسر ظاهرة مدلوليّة الأشكال اللغويّة. وعلى أهمية هذا المفهوم لما توله الدراسات العربية من الاهتمام، فالرواية تمثل مادة متميزة لهذه التأصيلات والمرجعيات، لتميزها بعدة مزايا من بينها الانفتاح والقابلية واحتواء الأفكار واستيعاب مختلف الفنيات، وقد مكنت هذه الخاصية الرواية بوصفها جنسا قائما بذاته لا جنسا منغلقا على نفسه، فهي جنس منفتح ذو معالم واضحة يمكن للروائي اللعب فيها

ضمن إطار محدد، مما سمح له من خلق كوكبه كاملة العوالم من الأفكار التي تواكب العصر بكل تجلياته في أطار تنظيمي محدد، وما يتبع ذلك من التقنيات المستخدمة. والتجربة العربية في الرواية من أهم التجارب التي حاولت المساس بالدائرة الاجتماعية المعيشية من خلال التجسيد الحقيقي للمعاني الاجتماعية في (التراث، القيم والأخلاق...) وتأثيثها فنيا في قالب روائي شديد الانفتاح على عوالم أخرى.

وقد شكلت هذه العملية مصدر إلهام لدى جل الروائيين العرب، فرواية عيسى مومني "رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا" تعد من أهم الروايات التي ركزت على المرجعية اللسانية والفكرية واهتمت بهاذين الجانبين، لذا وقع اختيارنا عليها، فلكل بحث معالم مجهولة تجعل الباحث يشد رحاله إليها وفي بحثنا هذا جاءت إشكالية متمثلة في الأسئلة التالية:

ماهي أهم الرؤى المبثوثة في الرواية؟ وماهي المرجعيات اللسانية والفكرية في الرواية وما هي أهم الآليات والتقنيات التي ساعدت الروائي في رسم الصورة البيانية؟

وكيف تجلى اهتمامه بالفكرة عن طريق اللغة؟

أما الدافع الذي حفزنا لتناول هذا الموضوع هو الرغبة الملحة في استنكاه حقيقة هذه الرواية من خلال السفر معها والبحث في مخزون ألفاظها لإثرائنا ومعرفة المرجعيات اللسانية والفكرية فيها التي تناولتها الرواية، كذلك تحفيز الخيال لدينا والأكثر من ذلك المتعة الذهنية وتعزيز مهارة التحدث والخطابة، والتعرف على القيم الاجتماعية والدينية والتاريخية والأدبية...إلخ

ونظرا لطبيعة بحثنا فقد ارتئينا رسم هيكل للمادة البحثية، متمثلا في مقدمة ومدخل نظري وفصلين تطبيقيين وخاتمة.

تناولنا في المدخل السيرة الذاتية للكاتب، والتعريف بالرواية، أما الفصل الأول المعنون بالمرجعيات اللسانية والفكرية فقد جاءت فيه، المفهوم المعجمي والاصطلاحي في الثقافة العربية، وفي الثقافة الغربية، المرجعيات اللسانية مفصلة كالآتي: لسانيات سوسير المرجعية اللسانية، ومستويات التحليل اللساني، تليها المرجعية الفكرية والدلالية متمثلة في المرجعية الدينية، التاريخية، الاجتماعية، والأدبية. أما الفصل الثاني والمعنون بمستويات التحليل اللساني والجانب الفكري للرواية، فقد اعتمدنا التحليل المستوياتي في الرواية والوقوف على المرجعيات الفكرية في الرواية، ليختم العمل بخاتمة استخلصنا فيها أهم النتائج.

وقد تم هذا التشكيل باتخاذ المنهج المناسب للبحث، لهذا اعتمدنا على المنهج التحليلي الوصفي ركيزة لتحليلنا الروائي بالاعتماد على آليات التحليل المستوياتي إضافة الى الأفق التاريخي، الاجتماعي... وتطلبت هذه الرواية هذا المنهج باعتباره الأنسب لدراسة الأفكار الواردة وبنيتها الفنية.

ولإنجاز البحث وجب اعتمادنا على مجموعة من المراجع والدراسات التي ساعدتنا في وضع حجر الأساس للبحث المتناول من أهمها نذكر:

ابن عاشور: التحليل والتنوير، نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، بوطارت محمد الهادي وآخرون: المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية، دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، أحمد محمد قدور: مبادئ للسانيات، الدكتورة نعيمة سعدية: لسانيات النص.

ومر بحثنا بمجموعة من الصعوبات التي تحول أثرها من السلب إلى الايجاب إذ دفعتنا دفعا إلى التعمق في البحث وشدت عزائمنا أكثر ومن بين تلك الصعوبات:

قلة المصادر والمراجع التي تتناول موضوع البحث، مما دفعنا إلى تكثيف الوقت والجهد للبحث عليها، بعد المسافة بين الطالبتين الباحثتين مما استدعى صعوبة في التواصل والتفاهم، صعوبة الحصول على الرواية مما دفعنا إلى مشاركة الرواية وتبادلها بيننا الأمر الذي جعلنا نخسر الكثير من الوقت، ضيق الوقت وكثافة البرنامج الدراسي، لهذا لم يكن تخطي مثل هكذا عقبات بالأمر الهين، تزامن الدراسة مع جائحة كورونا الأمر الذي فرض مجموعة من البروتوكولات أهمها التدريس على دفعتين مع فرض إجراءات أخرى مما ساهم في عرقلة دراستنا.

وبذلك فدراستنا جديدة لم يسبق لأحد التطرق إليها أو حتى دراسة المرجعية اللسانية والفكرية في الرواية، ونسعى أن تكون دراستنا فاتحة عهد لدراسات مستقبلية تستجلي كثيرا من جوانبها، يمكن أن تكون دراستنا لم تعطها حقها من الدراسة والتحليل أو لم نتطرق إليها فتناولها دراسات أخرى تكمل المسيرة أو تمس النقص الذي قد يوجد في دراستنا هذه، فتتوقف عنده لتدارك الأمر وتنبه الآخرين إلى ضرورة معرفته.

وفي الأخير نشكر كل من ساعدنا على انجاز هذا البحث: الأستاذ المشرف، وكل من ساهم من قريب أو بعيد.

مدخل

1 – السيرة الذاتية للكاتب

2 – التعريف بالرواية

السيرة الذاتية للكاتب:

الأستاذ: عيسى مومني، أستاذ اللسانيات، جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة.

- زاول دراسته الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية بوادي الزناتي، ولاية قالمة، وتوج بشهادة البكالوريا.
- تحصل على شهادة الليسانس، والماجستير، والدكتوراه في اللسانيات –جامعة باجي مختار–جامعة عنابة.
- أستاذ التعليم الثانوي بمتقن واد الزناتي سابقا.
- أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية وآدابها– قالمة (2002 – 2003/ 2008 – 2009) قبل التحاقه بقسم الآداب واللغة العربي بجامعة منتوري منذ 2011.
- أطّر العديد من طلبة الليسانس، والماستر، والمشاركة في مناقشة الدكتوراه، وصدر له مجموعة من المقالات بمجالات محكمة.

1 – المقالات المنشورة:

- الكتابات اللسانية المعاصرة، رؤية نقدية، مجلة جامعة قسنطينة، العدد41، المجلد ب، جوان 2014.
- النص المعجمي، قراءة نقدية في المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة. مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور بالجلفة، العدد8، جوان 2017.
- استراتيجية الإصلاح التربوي في الجزائر، الرهانات والتحديات، مجلة الميدان مجلة دولية محكمة للدراسات الرياضية والانسانية والاجتماعية، المجلد الثاني العدد السادس، مارس 2019.
- القاموس المدرسي الجزائري، مفاهيم وتقنيات ومناهج، مجلة التواصل في اللغات والآداب، جامعة باجي مختار عنابة22، المجلد25–عدد1–مارس2019.

- التقاطع المعرفي في اللسانيات العربية، قراءة إبستمولوجية، مجلة العلو الإنسانية جامعة الإخوة منتوري، المجلد30 – عدد2– ديسمبر 2019.

2 – المداخلات الوطنية والدولية:

- واقع استثمار القاموس في المدرسة الجزائرية الإنجازات والتصورات المستقبلية الملتقى الدولي الموسوم ب"الاستثمار في اللغة، واقع وأفاق" يومي: 15 – 16 نوفمبر 2015، جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة.

– مظاهر المصطلح العلمي المختص، قراءة في القاموس المدرسي الجزائري، الملتقى الوطني الموسوم بـ "اللّغة الخاصة في البحث العلمي وحقول المعرفة المختلفة" يومي: 9 – 10 ماي 2018، جامعة قالمة 1945.

- الثقافة التربوية عند رائد النهضة الفكرية العلامة عبد الحميد بن باديس، اليوم الدراسي الموسوم ب " الثقافة التربوية التعليمية للمتعلم الجزائري في المرحلة المتوسطة، الواقع والآفاق، يوم 26فيفري 2019، جامعة الطارف.

3 – نشاطات أخرى:

- محكم بمجالات وطنية، منها: مجلة جامعة منتوري قسنطينة 1، ومجلة حوليات قالمة 8ماي 1945 قالمة، ومجلة جسور المعرفة الشلف.
- عضو مختبر الدراسات اللغوية جامعة الإخوة منتوري قسنطينة.

5–الكتب المطبوعة:

- الممتاز، قاموس مدرسي، دار العلوم –الحجار، عنابة 1998.
- المنار، قاموس مدرسي للطلاب، دار العلوم– الحجار عنابة، 2008.
- المنار، قاموس لغوي، عربي عربي، دار العلوم للنشر والتوزيع – عنابة.

- قاموس الإعراب، إعراب الكلمة/ إعراب الجملة، دار العلوم للنشر والتوزيع – عنابة.
- الدرس النحوي في قواعد اللغة العربية، دار العلوم للنشر والتوزيع– الحجار عنابة.
- التدريب على تحليل النص في اللغة العربية وآدابها، لجميع شعب البكالوريا، مطبعة المعارف.
- الكامل في الأدب العربي لطلاب البكالوريا، مطبعة المعارف، الإيداع القانوني: 2724 – 2007. ردمك: 9 – 8 – 9694 – 9961 – 978.
- المنار في اللغة العربية وآدابها لطلاب البكالوريا، دار العلوم للنشر والتوزيع – الحجار عنابة.
- بيبليوغرافيا اللسانيات، قراءة في أول مؤشرات المحاورة ومداخل السياقات المعرفية اللسانية، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة.
- صناعة المعجم العربي الحديث، مفاهيم وتقنيات ومناهج، مطبعة المعارف – عنابة.
- صحو الكلام، زوايا مضيئة في حياة طالب العلم وأستاذه، (رواية)، دار العلوم – الحجار عنابة، 2009.
- رائحة خبز الصباح، حفر في خفايا الزوايا، (رواية) مطبعة المعارف، عنابة.

<u>تعريف الرواية:</u>

لغة: لقد جاء في المعجم الوسيط قولهم: " روى على البعير ريا: استسقى، روى القوم عليهم ولهم: استسقى لهم الماء، روى البعير، شد عليه بالرواء: أي شد عليه لئلا يقط من ظهر البعير عند غلبة النوم، روى الحديث او الشعر رواية أي حمله ونقله، فهو راو (ج) رواة وروى الحبل ريا: أي أنعم فتله، وروى الزرع أي سقاه، والراوي: راوي الحديث أو الشعر حامله وناقله، والرواية: القصة الطويلة".[1]

[1] – ابراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار: المعجم الوسيط، ج1 المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول نص 384.

ونجد تعريف آخر لابن منظور في لسان العرب أنها:"مشتقة من الفعل روى، قال ابن السكيت: يقال رويت القوم أرويهم، إذا استقيت لهم، ويقال من أين ريتكم؟ أي من أين تروون الماء؟ ويقال روى فلان فلانا شعرا، إذا رواه له حتى حفظه للرواية

عنه، وقال الجوهري: رويت الحديث والشعر فانا راو في الماء والشعر، ورويته الشعر تروية أي حملته على روايته".[1]

من خلال هذين التعريفين اللغويين نلاحظ أن الرواية لغة مشتقة من الفعل روى يروي ريا ويعني الحمل والنقل لذلك يقال رويت الشعر والحديث رواية، أي حملته ونقلته.
بالإضافة إلى كون الرواية تحمل مدلولات لغوية متعددة، فهي بطبيعة الحال تحمل معاني اصطلاحية كثيرة كثرة الدارسين، والمفكرين، وسنعرض فيما يلي إلى بعض من هذه المعاني.

ب/اصطلاحا:

تعتبر الرواية محور العلاقة بين الذات والعالم، وبين الحلم والواقع، وهي الخطاب الاجتماعي والسياسي، والإيديولوجي المتوجه دائما ناحية حشد من الأسئلة، التي تأخذ من الإنسان والطبيعة والتاريخ محاور موضوعاتها، لتعيده إليهم رؤى ووعي وبنى جديدة، تضيء وتوهج الواقع، وتضع له أثرا تحدد به طريقة الخلاص، وحدود العالم، ونظرا للمعاني التي اتخذتها عبر مسيرتها التاريخية، وباعتبارها جنس ادبي متغير لمقومات والخصائص. وتداخلها مع أجناس أخرى، فإنه من الصعب أن نجد تعريفا دقيقا خاص بها لكن هذا لا يعني أن البحث عن مفهومها في غاية الصعوبة، بل هناك العديد من الدارين الذين أوردوها، أو بالأحرى تعرضوا لمفهومها.
وقد يكون أبسط تعريف لها هو أنها" فن نثري تخيلي طويل سبيا، بالقياس إلى فن القصة ".[2]
وهناك من عرفها بأنها:" جنس أدبي يشترك مع الأسطورة والحكاية...في سرد أحداث معينة

[1] – ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، ص (282،281،280)

[2] –علي نجيب إبراهيم، جماليات الرواية، ص36، نقلا عن أمينة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط1ن دار الحوار للنشر، سوريا،1987، ص21.

تمثل الوقع وتعكس مواقف إنسانية، وتصور ما بالعالم من لغة شاعرية، وتتخذ من اللغة النثرية تعبيرا لتصوير الشخصيات، والزمان والمكان والحدث يكشف عن رؤية للعالم".[1]

ويعرفها إدوار الخراط بقوله:" الرواية في ضني هي اليوم الشكل الذي يمكن ان يحتوي على الشعر والموسيقى، وعلى اللمحات التشكيلية، الرواة في ضني عملا حرا، والحرية هي من التمات والموضوعات الأساسية ومن الصوان المحرفة اللاذعة التي تنسل دائما إلى كل ما كتب".[2]

وورد تعريفا آخر للرواية لعزيزة مريدن حيث تقول:" هي أوسع من القصة في أحداثها وشخصياتها، عدا أنها تشغل حيزا أكبر، وزمن أطول، وتتعدد مضامينها، كما هي في القصة، فيكون منها الروايات العاطفية، والفلسفية والنفسية والاجتماعية، والتاريخية".[3]

أما معجم المصطلحات الأدبية لفتحي ابراهيم فقد جاء فيه أن:" الرواية سرد قصصي نثي يصور شخصيات فردية، من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد، والرواية تشكيل أدبي جديد، لم تعرفه العصور الكلاسيكية الوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية، وما صاحبها من تحرير الفرد من رقبة التبعيات الشخصية".[4]

وعرفتها الأكاديمية الفرنسية بأنها:" قصة مصنوعة مكتوبة بالنثر، يثير صاحبها اهتماما بتحليل العواطف ووصف الطباع وغرابة الواقع".[5]

---

[1] –سمير سعيد حجازي: النقد العربي واوهام رواد الحداثة، ط1، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص297.

[2] –إدوار الخراط، الرواية العربية واقع وآفاق، ط1، دار ابن رشد، 1981، ص (303–304)

[3] –عزيزة مريدن: القصة والرواة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971، ص20.

[4] –فتحي ابراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للنشر المتحدي، تونس،1988، ص (60–61)، نقلا عن الح مفقودة، صورة المرأة في الرواية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة،2001–2002، ص30

[5] –مصطفى الصاوي الجويني: في الأدب العالمي لقصة، الرواية والسيرة، منشأة المعارف، الإسكنريةن2002، ص13.

الفصل الأول:

المرجعية اللسانية والفكرية

أولا: المفهوم المعجمي والاصطلاحي

ثانيا: المرجعية اللسانية

ثالثا: المرجعية الفكرية

تمهيد:

يشهد البحث اللّغوي منذ أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين تدفقا مصطلحيا غزيرا مرفوقا (مصحوبا) بمفاهيم متشعبة غير مضبوطة ولا موحدة، وليس مصطلح "مرجعية" أسعد حظًا منها، فقد كثرت حدوده وتعريفاته وامتزجت بمصطلحات أخرى مما يفرض استقراء مفاهيمه في الثقافتين العربية والغربية لتأصيله وتأسيسه نظريا فما هو مفهوم المرجعية عند العرب وعند الغرب؟

أولا: المفهوم المعجمي والاصطلاحي:

1/ في الثقافة العربية:

"المرجعية"1 بكسر الجيم مصدر صناعي من (مَرْجَعُ) لصفة الرجوع لا النزعة المعرفية أما صيغة استعمالها فهي محدثة في اللّغة العربية المعاصرة؛ إذ تشير تضاعيف المعجمات اللّغوية التراثية إلى أصول دلالتها العائدة إلى مادة (رَجَعَ) وجميع اشتقاقاتها دونها، حيث:

ورد في كتاب "العين" لصاحبة الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ): "رَجَعَ" رُجُوعًا ورجعته فيه اللازم والمجاوز والرَجْعَةُ المرة الواحدة، والتَرْجِعُ تقارب ضروب الحركات في الصوت، هو يُرْجَّعُ في قراءته. وهي قراءة أصحاب الألحان، والقينة والمغنية ترجعان في غنائهما، وترجِيع وشي النقش والوشم والكتابة خطوطها.

والرَّجْعُ: ترجيع الدابة يدها في السير(...) ورَجْعُ الجواب رده، ورَجْعُ الرَّشْق من الرمي: ما يرد عليه، والمَرْجُوعَةُ جواب الرسالة، قال: لم تَدْر ما مَرْجُوعَةُ السَّائل يصف

الدار، تقول: ليس في هذا البيت مَرْجُوعُ: أي لا يَرْجِعُ فيه (...) والارْتِجَاعُ أن تَرْتَجِعَ شَيْئًا بعد أن تعطي...[1]

فشرحُ الخليل وقف عند أغلب أوزان الجذر (رجع) التي تضمنت اسم المفعول "مرجوع" ومؤنثه "المرجوعة" بمعنى "الرَّدُّ" و "المُعَاودة".

في حين يبين ابن فارس (ت395هـ) وفق نظريته الاشتقاقية أصوله وفروعه، بقوله:

"الراء والجيم والعين أصل كبير مطرد منقاس يدل على رد وتكرار، تقول رَجَعَ يَرْجِعُ رُجُوعًا، إذا عاد، وراجع الرجل امرأته، وهي الرَّجْعَةُ والرِّجْعةُ والرُّجْعَى: الرجوع

والرَّاجعةُ الناقة تباع ويشترى بثمنها مثلها، والثانية هي الرَّاجعة، وفي الحديث: "أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم رأى في إبل الصدقة ناقة كوماء، فسأل عنها فقال المصدق: "إني ارتجعتها بإبل" (النهاية 201/2)، والاسم من ذلك الرجعة، قال: جُرْدُ جِلاَدُ مُعطّفات على الْ / أوْرَاق لاَرجْعَةُ ولا جَلْبُ، وتقول أعطيته كذا ثم اِرْتَجَعْتُهُ أيضا، صحيح بمعناه"[2]

وتعرض الزمخشري (ت 538 هـ) لدلالاته الحقيقية والمجازية ذلك أن "رجع إليَّ رُجوعاً ورُجْعى ومَرْجَعًا ومَرْجَعًا. ورَجَعْتُهُ أنا رَجْعًا، ورجعت الطير القواطع رجَاعًا، ولها قِطَاعُ ورجاعُ. وتفرقوا في أول النهار ثم تراجعوا مع الليل، أي رجع كل واحد إلى مكانه، ومن

[1]– ترتيب ومراجعة: داود سلوم وآخرون، كتاب العين، معجم لغوي تراثي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت/ لبنان، 2004 م، ص 288.

[2]– أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، المحقق: إبراهيم شمس الدين، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 1429هـ/2008م، مج1 ص 512.

المجاز: خالفني ثم رجع إلى قولي، وصرمني ثم رجع يكلمني، وما رُجعَ إليه في خطب إلا كُفِيَ (...) ورجع الحوض إلى إزائه إذا كثر ماؤه، قال: الأول

قَدْ رَجَعَ الحَوْضُ إلى إزائِهِ

كأنَّهُ مُخَايل بمَائِهِ

كَرجْعةِ الشَّيخِ إلى نِسَائِهِ

(...) وليس لي من فلان رَجْعُ: منفعة وفائدة. وتقول ما هو إلا سَجْعُ ليس تحته رَجْعُ.

"ورزقنا الله رَجْعَ السماء وهو المطر..."[1]

ويعبر الرازي (ت666هـ) عن الغرض نفسه، يقول: "رَجَعَ الشيء بنفسه من باب جلس ورَجَعَهُ غيره من باب قطع وهذيل تقول أرْجَعَهُ غيره بالألف، وقوله تعالى " يرجع بَعْضُهُم إلى بعضِ القول" يتلاومون. والرُجْعى الرجوع وكذا المرجعُ(...) والراجِعُ المرأة يموت زوجها فترجع إلى أهلها، وأما المطلقة فهي المردودة.

والرجع المطر، قال تعالى " والسماء ذات الرَجْعِ" وقيل معناه ذات النفع (...) وكل شيء يردد فهو رَجِيع لأنَّ معناه مَرْجُعٌ أي مردود، والمراجعة المعاودة، يقال راجعه الكلام وتراجع الشيء إلى خلف، استرجع منه الشيء أخذ منه ما كان دفعه إليه (...) وترجيع الصوت ترديده... [2]

1 –أساس البلاغة، قدم له وعلق وشرح غريبه: محمد احمد قاسم، المكتبة العصرية صيدا بيروت/لبنان، 1426هـ/2005م ص300.

2– الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون، الأردن، 1428هـ/2007م، ص115.

وأما ابن منظور(ت711هـ) فقد فصل بشكل مطرد مدعم بآراء اللّغويين (النحاة) جميع ما سبق وأضاف بشرحه: " رجع يرجعُ رجعًا ورجوعا ورجعي ورجعانا ومرجعا

ومرجعة": انصرف وفي التنزيل: "إنَّ الى ربك الرُجْعى" أي الرجوع والمرجع مصدر على فعلى (...) ويقال جعلها الله سورة مرجعة، والمرجعة: التي لها ثواب وعاقبة حسنة

(...) والمراجعة: المعاودة والرجيع من الكلام: المردود إلى صاحبه، والرجع والرجيع: النجو والروث وذو البطن لأنه رجع عن حاله التي كان عليها...[1]

ولا يبتعد كثيرا عن الصيغ الصرفية العامة لكلمة (رجع) ودلالتها الفيروز أبادي (ت817هـ) يقول: "رجع يرجع رجوعا ومرجعا (...) ورده كأرجعه، أرجع كلامي فيه: أفاد، وأرجع العلقة في الدابة: نجع (...) ويؤمن بالرجعة: أي بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت، وبالكسر والفتح: عود المطلق إلى مطلقته (...) وباع إبله فارتجع منها رجعة صالحة، وبالكسر: إذا صرف أثمانها فيها يعود عليه بالعائدة الصالحة (...) والرجعة والرجعان والرجعى بضمهن: جواب الرسالة. والراجع: المرأة يموت زوجها وترجع الى أهلها (...) والرجيع من الكلام: المردود إلى صاحبه (...) وترجيع الآذان: تكرير الشهادتين بعد اخفائهما.[2]

[1]– الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، ط6 دار صادر، بيروت/لبنان، مج6، ص 108/107.

[2]– العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت /لبنان، 1425هـ/2004م، ص 740/739.

وبذلك تبين الاقتباسات السابقة غياب الإشارة في التآليف المعجمية العربية القديمة لصيغة "مرجعية" أما أصولها وما يتفرع عنها من بنيات صرفية فتتقاسمها دلالات مركزية هي: "الرد" –"التكرار" –"الصرف"–"العودة"– "الاستبدال"– "الفائدة".

أما الاطلاع على أحد معاجم مجمع اللغة العربية يبين تكرير معظم ما ورجد في المعجمات التراثية السابقة بإيجاز مع ذكر بعض الدلالات المحدثة ودائما عدا صيغة

"مرجعية"، مثل الرجعة في علم الأحياء العودة إلى الحياة بعد موت ظاهري أو سبات (...) الرجعيةُ: البقاء على القديم في الأفكار والعادات دون مسايرة التطور (...) المرجع ما يرجع غليه في علم أو أدب من عالم أو كتاب جمع مراجع.[1]

وتجدر الإشارة إلى مصدر الاحتجاج اللغوي الأول: "القرآن الكريم" الذي لم تتضمن نصوصه المقدسة أيضا استعمال صيغة مرجعية؛ إذ استقراء آياته الكريمات يثبت ورود أغلب المشتقات[2]، التي احالت إليها المعاجم العربية ودلالتها، وتفسير مصادره اللغوية يكشف ما يأتي:

[1]– إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ط2، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع 1972م، ج1، ص331.

[2]– محمد سعيد اللحام، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وفق نزول الكلمة، ضبطها ورتبها، ط8، دار المعرفة، لبنان، 2010م، ص857/856.

- "الرُجْعَى" وردت مرة واحدة في قوله تعالى "إنَّ إلى ربك الرجعى"[1]

يفسرها الزمخشري (ت 583هـ) بقوله: "...والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع"[2]

- "مَرْجَعُكُمْ" جاءت في مواضع كثيرة يعسر إحصائها، منها: قوله تعالى: "ثُمَ إلَيَّ مَرْجِعُكُمْ"[3] يفسره ابن عاشور بأنه "مصدر ميمي معناه الرجوع، وحقيقة الرجوع غير مستقيمة هنا فتعين أنه رجوع مجازي، فيجوز أن يكون المراد به البعث للحساب بعد الموت، وإطلاقه على هذا المعنى كثير في القرآن بلفظه وبمرادفه نحو المصير

ويجوز أن يكون مرادا به انتهاء إمهال الله إياهم في أجل أراده فينفذ فيهم مراده في الدنيا"[4] وفسر كذلك في موضع آخر قوله تعالى: "إلى الله مَرْجِعُكُمْ جميعا"[5]

والمرجع مصدر ميمي لا محالة، بدليل تعديته بالباء، وهو مما جاء من المصادر الميمية بكسر العين على القليل، لأن المشهور في الميمي من يفعل بكسر العين أن يكون مفتوح العين.[6]

---

[1]– سورة العلق: الآية 8.

[2]– أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، شرح وضبط ومراجعة: يوسف الحمادي، ط1، مكتبة مصر، القاهرة 1431هـ/2010م، ج4، ص666.

[3]– سورة لقمان: الآية 15.

[4]– الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م ج3، ص260.

[5]– سورة المائدة: الآية 105.

[6]– مرجع نفسه: تفسير التحرير والتنوير مج3، ج6، ص79.

"مرجعهم": من ضمير المخاطبة الجمعي إلى الغائب يبقى المعنى ذاته "الرجوع"، من أمثلة توظيفه في القرآن الكريم قوله تعالى: "ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ".[1]

ففي مثل هذه السياقات التي لم تتجاوز فيها لفظة "المرجع" معنى الرجوع تتأكد حقيقة الخلق منه وإليه سبحانه عز في علاه.

لكن الاطلاع على الدراسات العربية المعاصرة المتخصصة يوضح حضور مصطلح "مرجعية" –الذي كانت الترجمة سببا في دخوله في صيغ اللّغة حسب اعتقادنا ضمن القوائم الاصطلاحية مقابلا للمصطلح الأجنبي (فرنسي أو إنجليزي) "Référentiel" أو" Référence" وأنه "العلاقة المرجعية بين العناصر، ويمكن هنا أن نستعمل المصطلح النحوي "العاملية"، فوجود العنصر في اللغة ليس اعتباطا بل هو محدد من طرف العناصر التي سبقته أو تلك التي ستلحق به، وتعد العناصر الأخرى المحددة لوظيفة هذا العنصر بمثابة مرجع له.[2]

فحسب اللساني الجزائري نعمان "المرجعية" هي المعاني التي تربط العناصر اللغوية في التراكيب سواء كانت متقدمة أو متأخرة.

ولا يبتعد عنه كثيرا الباحث إبراهيم الفقي حين يرادفها بمصطلح "الإحالة" ويرى أن مصطلح "Référence" أي المرجعية فقد تكون إشارة ضمير إلى اسم أو عبارة إسمية

[1]– سورة يونس: الآية 70.

[2]– نعمان بوقرة : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ط1، عالم الكتب الحديث وجدارا للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، 2009م، ص135.

متقدمة أو متأخرة، وهي وظيفة الإحالة نفسها كما رأينا، بل قد ربط علماء اللغة بينها وبين المرجعية القبلية والبعدية.[1]

وهناك من يعرفها بالوظيفة يقول: "هي وظيفة إدراكية أو تأشيرية (إشارة/علامة)

والذي من خلاه يعتبر المرجع الرسالة كأهم عنصر".[2]

ودارس آخر بمصطلح "القصدية" فيقول: "وهنا يجب الإشارة إلى أنه يفترض في قضية ما، أنَّ لها مرجعا، والمرجعية أو القصدية، ثابت جوهري في القضية".[3]

وأما اللغوي المغربي الفاسي الفهري في معجمه يقابلها (المرجعية) بمصطلح " الإحالة".[4]

في حين يترجمها الدارس المغربي علي آيت أوشان ب " الضمير العائد" ويرى ان المقصود منها: "أنَّ المركبات الاسمية تتميز عن باقي المركبات الأخرى بوظيفتها داخل الجملة أو الخطاب، فكل متوالية اسمية ولها مرجع".[5]

---

[1]– دكتور صبحي إبراهيم الفقى: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ط1، دار قباء، القاهرة 2000م ج1، ص43.

[2]– بوطارت محمد الهادي وآخرون: المصطلحات اللسانية والبلاغية والاسلوبية والشعرية، دار الكتاب الحديث، 1431هـ/2010م، ص309.

[3]– عبد الواسع الحميري : ما لخطاب وكيف نحلله، ط1، مؤسسة مجد، 2009م، ص34.

[4]– عبد القادر الفارسي الفهري: معجم المصطلحات اللسانية، دار الكتاب الجديد المتحدة، المغرب 2007م، ص282.

[5]– علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة 2000م، هامش ص46.

وذلل مفهومه المفكر الجزائري عبد الملك مرتاض على أنه "يعني وبكل بساطة، أنَّ اللفظ كذا، يحدد الشيء كذا، للعالم الخارجي، أو يحيل عليه".[1]

مما تقدم يبدوا أنَّ مصطلح "مرجعية" في الثقافة العربية القديمة ارتكز حول معنى فعل "الرجوع" لا مكان الرجوع (المرجع)، الأمر الذي لم يحد عنه المتخصصون العرب حديثا في كون "المرجعية" هي بحث عن عودة الكلمات بعضها على الآخر في السياق اللغوي.

2/ في الثقافة الغربية: (Référence).

المرجعية اسم يعود أصله إلى الفعل (Réfer) بمعنى "بمعنى يشير أو يصف ويتكلم عن أو يرجع"[2]، أصوله إنجليزية ثم انتقل إلى اللّغة الفرنسية واستعمل فيها لأول مرة عام 1820م معجميا، أما لسانيا فكان ذلك سنة 1960م.[3]

- لغويا (معجميا) هو اسم مؤنث مرادف لكلمات: خبرة/شهادة أو مؤهل/ضمان.[4]

---

[1]- مرتاض عبد المالك: تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللّغة، الجزائر، 2005، ص65.

[2]- oxford Elementry learn's Dictionnary (English-Arabic)، First published, oxford university press, 2011/p338.

[3] - عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م ص287.

[4] - El kenz – Des synonymes de langue française, Edition Achache Algérie, 2003/p205.

Garantie/Certificat, Attestation/Expérience

يقصد به "فعل العودة إلى شيء ما، لبيان كيف يحيل موقع شيء إلى آخر يسبقه، كذلك هو فعل الرجوع أو الإسناد إلى أشياء أو أشخاص في نص أو خطاب حين ترسل إلى قارئ، أو مستمع، ...إلخ.[1]

وورد في موسوعة اللسانيات ان مصطلح المرجعية Référence يستعمل في تحديد ما يأتي:[2]

1- العلاقة بين التعبيرات الإحالية وإلى ما تعود (ترجع) إليه.

2- التعبيرات الإحالية إلى ماذا تشير.

3- فعل الرجوع إلى ما هو خارج اللّغة (Extra linguistique).

- ويعني مفهوم "المرجعية" لسانيا: مصطلح في التحليل النحوي يستعمل للتعريف بحالة الربط الموجودة بين الوحدات النحوية، مثل: الضمير العائد على الاسم أو الجملة الاسمية، أين تكون المرجعية جزءا رابطا في الخطاب، فقد تكون قبلية وتسمى (Anaphora) (متقدمة = إحالة على الاحق) وقد تعود على جزء متأخر من الخطاب وتسمى بعدية (Cataphora) إحالة على السابق".[3]

يبدوا أنَّ هذا المفهوم وضع حقيقة المرجعية اللغوية داخل أكبر وحدة لغوية (الخطاب) وأنواعها بحسب العنصر اللغوي (المفسر) الذي ترجع إليه قبلها أو بعدها.

[1] - Dictionnaire du français, imprimerie hérissey, Enreux, 1997/p943.

[2] - Encyclopedia of linguistics, fitzrory dearborm, taylor & Françis group New york, Volume1/p896.

[3] - A dictionary of linguistics and phonetice and phonetics, David Grystal sixth edition, Blackwell publishing LTD, 2008/p407.

ويطرح اللغوي الفرنسي جورج مونان (Georges Mounin) طرحا مغايرا للسابق (D/Crystal) في تعريفه لمصطلح "المرجعية" الذي أقامه على ثنائية الواقع/المتكلم فيه جاء فيه: "اللّغة كمجموعة مبنية من الأشكال ليس لها مبرر ووجود إلا إذا كانت في علاقة مع التجربة التي يمتلكها المتكلمون عن العالم، بمعنى أوسع، المرجعية في هذه العلاقة المتجهة من العلاقة إلى الواقع، وبدقة أكثر، تستخدم المرجعية من أجل

العلاقة التي تجمع شكلا من الخطاب مع شيء أو تمظهر خاص لتجربة المتكلمين ويمكننا بالتالي مقابلتها بالتعيين.[1]

وترى آن ريبول (Anne Rebol) في إطار حديثها عن تأويل الخطاب أن "المرجعية" تتجاوز الإحالات اللّغوية في الخطاب إلى الأشياء في العالم

(des objets dans le monde) ويمكننا تعريف المرجعية بأنها فعل الإشارة بواسطة تعبير إحالي لشيء معين في العالم.[2]

وعند فرانك نوفو (Frank – Neveu) غالبا ما تعرف المرجعية باعتبارها علاقة توحد بين تعبير لساني مستعمل في لفيظ وشيء من العالم معين بواسطة هذا التعبير ويسمى

[1]– جورج مونان: ترجمة جمال الحضري، معجم اللسانيات ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت / لبنان، 2012م، ص406/407.

[2] – Anne Rebol et jaques moeschle, pragmatique du discours, armand colin, paris, 1998, p125.

هذا الشيء من العالم مرجعا، المرجعية هي إذا مثلما يذكر بذلك شارول حدثٌ قصدي يهدف إلى وضع علاقة بين الكلمات والعالم.[1]

وتوصل الباحث الجزائري عمر بلخير إلى أنَّ: "الرجوع إلى المعاجم المتخصصة يظهر لنا اجماعا على تحديد المرجعية بأنها تلك الوظيفة التي تسمح للأشكال اللغوية أن تحيل على عناصر من العالم، والتخاطب البشري أساسا يقوم على هذه العلاقة".[2]

ويضيف في موضع آخر: "إنَّ الوظيفة المرجعية للغة هي التي تعطي الخطاب بعده الحقيقي في التأدية، إذ إن تتم الفائدة في الكلام يتوقف على مدى مطابقة العلامات للواقع.[3]

وترى الباحثة الجزائرية ذهبية حمو الحاج بعد تتبعها لمفهوم "المرجعية" من اللسانيات التقليدية إلى أركيوني (C/K/Orecchioni) أن المرجعية تعتبر: "القاعدة الأساس لكل اتصال وتواصل، فهي التي تحدد العلاقة بين الملفوظ والموضوع الذي تحيل إليه

وتدل على سيرورة العلاقة بين الملفوظ والمرجع أي مجموع الآليات التي تصل بعض الوحدات اللغوية ببعض الوحدات من الحقيقة غير اللغوية"[4] لتكون بذلك مؤيدة لعلاقة المرجعية بالمتكلم (الملفوظ) وبالعالم الخارجي (وحدات من حقيقة غير لغوية) ليتحقق ما

---

[1]– فرانك نوفو، ترجمة: صالح الماجري، مراجعة، الطيب بكوش، قاموس علم اللغة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت/ لبنان، 2012م، ص 414.

[2]– بلخير عمر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ط1، منشورات الاختلاف الجزائر، 2003، ص64.

[3]– المرجع نفسه.

[4]–حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2005، ص94-95.

أضافته (التواصل)، وبذلك يكون البحث عن المرجعية في التلفظ يحيلنا إلى المتكلم وما يحيط به من أحوال بحيث يتجلى المتكلم حينما يكون فاعلا في الخطاب مع توفر علاقة بينه وبين المخاطب.[1]

ويعرفها جان ديبوا وآخرون (Jean Debois et autres) بأنها: "مهمة العلاقة اللسانية في نقل حقيقة شيء ما من عالم خارج لساني حقيقي أو خيالي، والوظيفة المرجعية هي لغوية بالأساس.[2]

فالمرجعية إذن كلفظة مفهومها في الثقافة الغربية هي بحث في عودة الوحدات اللغوية المبهمة إلى أخرى سابقة أو لاحقة عليها، بمعنى إرجاع المعاني إلى

موضوعاتها وبهذا لا تبتعد كثيرا عن المفهوم المعجمي في الثقافة العربية، وكمصطلح استعملت للبحث عن علاقة العناصر اللغوية وما تعبر عنه من الأشياء الموجودة في العالم الخارجي (الواقع) وكيفية تحقق عملية التواصل من خلالها.

ثانيا: المرجعية اللسانية

1 – لسانيات سوسير:

يقول فردناند دي سوسير (F.de Saussure 1857-1913م): "ستكف اللسانيات على أن تكون تابعة للمعارف البشرية الموازية لها، لتصبح تدريجيا متبوعة بها حاملة

[1] – المرجع نفسه، ص78.

[2] – Dictionnaire de l‘ inguistique, imprimerie "la tipografica Varese S.P.A" Italy, janvier 2001, p404.

للريادة المنهجية والأصولية[1]. يحمل هذا القول دلالات استقلالية اللسانيات كعلم يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية، تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية، من أجل بيان حقيقتها وعناصرها ونشأتها من جهة، وبيان العلاقات التي تربطها بغيرها، وكشف القوانين الخاضعة لها في مختلف نواحيها من جهة ثانية[2] والعلمية هنا- لا تتحقق إلا إذا اعتمدت على ملاحظة الأحداث وامتنعت عن اقتراح اختيار ما ضمن تلك الأحداث باسم بعض المبادئ الجمالية أو الأخلاقية في موضوعها.

كما يحمل القول، دلالات إمكانية تطور هذا العلم، وتفرعه إلى غيره، مع محافظته على مكانة الريادة المنهجية؛ مما أدى إلى ظهور مدارس ونظريات ورؤى جديدة وبالتالي علوم جديدة ولدت من رحمها، وخرجت من تحت عباءتها، حيث انتقلت

اللسانيات من دراسة الكلمة كمنجز بالإمكان، إلى دراسة العبارة كمنجز بالفعل، ومن دائرة التركيب في النحو، إلى دائرة التركيب في بناء النص، وكان ذلك أبرز انشغالاتها

العلمية وتطلعاتها المستقبلية. ومنه التساؤل، كيف يمكن أن نعتبر اللسانيات السوسيرية أفقا لسانيا نصيا؟

وللإجابة على هذا السؤال، نشير إلى الثنائيات العديدة، التي أمدنا بها دي سوسير

---

[1]- فردينان دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1985، ص120.

[2] – André martinet, élément de linguistique Générale, Armande colin, paris p06.

وينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ للسانيات، دار الفكر، سوريا، ط1، 1999، ص11.

والتي دخلت في صراع من أجل تحديد مفهوم اللغة؛ فاعتبرت معطى لغويا اجتماعيا قائما، يحتاج إلى أشكال فردية تحرك ثبوته، ونماذج تمثله باعتباره تعاقدا بين الأصوات والأفكار بين اللغة والكلام.

ومن هذا المنطلق، يفضل دي سوسير اللغة على الكلام لتفضيله الاجتماعي على الفردي، والجوهري على الثانوي، والعام على الخاص والمستقل بالكينونة علة المرتبط بغيره، والثابت على المتغير...الخ، وهو ما يعبر عنه ذلك التمييز بين لسانيات اللغة ولسانيات الكلام؛ إذ يقول: "حالما نروم تأسيس نظرية للكلام يجب أن نختار بين سبيلين يستحيل أن نسلكها مع في وقت واحد، بل ينبغي أن نسلك كل منهما على حده وقد يمكن مع شيء من التبسيط أن نطلق اسم اللسانيات على كل من هاتين المادتين وأن نستعمل عبارة لسانيات اللفظ/الكلام (Linguistique de parole)، كما استعملنا عبارة لسانيات اللغة بمعناها العام، ونعني بها تلك التي موضوعها الوحيد هو اللغة، والتي سوف يكون عليها –أي اللغة – مدار الحديث وحدها[1]؛ اعتبار أنها ظاهرة إنسانية مرتسمة في كل دماغ على شكل معجم، ومتموضعة خارج

إرادة أفرادها؛ أي "لسانيات الكلام" هي "لسانيات الاستعمال"، دون أن يوليها عظيم اهتمام؛ لانشغاله "بلسانيات اللغة"، التي اقترب بشكل أو بآخر من لسانيات النص

ليستحق هذا الأخير التمثيل الشرعي للغة. ويدفعنا هذا إلى القول ان دي سوسير من الأوائل الذي انتبهوا إلى لسانيات تفوق الجملة فيما اسميناها فرضية "سوسير التوسيعية".

[1]– لسانيات النص: المرجعية الفكرية واستراتيجية التلقي، الدكتورة نعيمة سعدية، أستاذة علوم اللسان وتحليل الخطاب جامعة محمد خيضر بسكرة– الجزائر، عالم الكتب الحديث، إربد . الأردن 2017 ص09.

يحاول دي سوسير بكل وعي وإدراك–عبر هذه المقولة–الفصل بين أمرين مختلفين: لسانيات اللغة ولسانيات الكلام، على الرغم من التداخل الحاصل بينهما، فالكلام ضروري لكي تكون اللغة ظاهرة إنسانية بكل أبعادها المختلفة والمتداخلة؛ باعتبارها الأساس في عملية التعبير والتواصل وتسجيل الخبرات الإنسانية المختلفة. ومنه كانت هذه الثنائية (لغة/كلام) من أهم الثنائيات السوسيرية وأكثر تميزا؛ لإسهاماتها في بروز علوم جديدة ناشئة، فلقد خلق دي سوسير بمصطلح "لسانيات الكلام "جدلا تواصل إلى الآن في قلب اللسانيات، إنه جدل يخلد أصالة وتأمل الفكر السوسيري في الواقع الحديث والمعاصر، ويبرز قيمته لكل مولود لساني جديد يريد التأسيس والتأصيل.

ولما كانت اللغة، من حيث هي قواعد نحوية وقوانين اجتماعية، تأتي على شكل نظام داخلي، ذي قواعد تواضعية ذهنية، يجسدها الكلام تجسيدا خاصا ضمن التواضعات التواصلية لقوم ما، تمكن المجتمع من ممارسة ملكة لسانية، موجودة بالقوة وبالفعل تخضع لقدرة تنظيمية تواضعية، وهي "موضوع اللسانيات الأجدر بالدراسة[1] كونها غاية في ذاتها قابلة للتصنيف والتحليل، وهي نظام(...) يضبط قواعد الكلام ويتفحص ابنيته، وهو الأمر الذي قامت بتطويره لسانيات النص بطريقة خاصة، لإثبات التحكم الذاتي والوحدة والانسجام، وعلى اعتبار أن اللغة(langue)فكر منتظم في صلب المادة الصوتية[2] ،وعلى قول إدوارد سابير(Sapir.E):اللغة بنية ومكوناتها الدلالية حجارة تلك البنية[3]

[1]– لسانيات النص: المرجع نفسه، ص10.

[2]– فردنان دي سوسير: المرجع نفسه، ص 172.

[3]– إدوارد سابير، اللغة (مقدمة في دراسة الكلام)، ترجمة: المنصف عاشور، الدار العربية، للكتاب تونس، 1995م، ج1، ص39.

ونتساءل أمام قول المادة الصوتية؛ ما طبيعة هذه المادة التي تتخذها اللغة شكلا؟ ما ماهية المادة الصوتية التي تجسد افكارنا المنتظمة لتجعلها سنفونية رائعة، حقيقتها مستقلة؛ لأن الأخطاء التي ترتكب لا تنال البتة من حقيقتها تلك، بأسسها وقواعدها وقوتها في الحضور والبقاء والاستمرارية؟ هل الأنموذج، الذي يمثلها: الجملة ام الملفوظ ام الخطاب ام النص...الخ؟ إنه التساؤل عن المظهر او الأنموذج اللغوي، الذي يمثل اللغة وخاصة عندما يمنح هذه الوقائع بعض المبادئ والمزايا الشعرية (البنيوية الجمالية) مع ما تملك من ذهنية مفهومية.

والكلام –في نظر سوسير– تجسيد للغة، من حيث هو إنجاز فردي لقواعد اللغة، بل إنجاز فعلي ملموس، يقوم بتجسيد آلي فعلي لنظام لغوي اجتماعي، تجسيدا فرديا ليحوله من الموجود بالقوة إلى الموجود بالفعل، إنه منظومة خارجية وداخلية، ووسيلة مرتبطة بإرادة الفرد المتكلم، ودراسته تساعد على اكتشاف اللغة، يخضع لحركتين متمازجتين حركة الصوت الفيزيولوجي، والحركة النفسية الذهنية للمتكلم، للتعبير عن فكره الشخصي، ومن هذا التزاوج تتولد السلسلة الكلامية موضوع لسانيات الكلام، التي

أشار إليها دي سوسير فكانت– هذه النقطة– اللبنة الأساس لهذا الاتجاه الجديد الذي اهتم بهذه السلسلة المسماة "نصا "، موضوعا قائما بذاته.

يقول سوسير: "وإذا أخذنا الكلام جملة بدا لنا متعدد الأشكال، متباين المقومات موزعا في الآن نفسه بين ميادين متعددة بما فيها الفيزيائي والفيزيولوجي والنفسي منتميا في الآن نفسه إلى ما هو فردي وإلى ما هو اجتماعي[1]، يقوم على مبدأ: الإرادة والذكاء

[1]– لسانيات النص، المرجع نفسه، ص11.

إنتاج تواصلي يحمل سمة فردية مميزة بكل أبعادها: النفسية، الاجتماعية الدينية السياسية، الفكرية...الخ.

وهي رؤية ستساهم في إرساء مبادئ وقواعد علم يمارس على اهم النماذج والأشكال اللغوية، وهو النص، الذي تتأسس عليه اللسانيات بعلميتها، حيث تسعى من خلاله، إلى تحديد الأبعاد الابستيمولوجية له، في كليته وشموليته، من جهة، وإلى إدراك أبسط العمليات النفسية التي فعلت نشاطها كمخبر كيماوي، من جهة ثانية. والذي ينعم النظر سيجد أن النص هو مدار الدراسة اللسانية؛ فالباحث منه ينطلق وإليه يعود، لذلك صرح أحد اللسانيين قائلا: "إن اللسانيات تتعهد بدراسة العلامة اللغوية لا من حيث هي غرض في ذاته، ولا من حيث هي جزء بمفرده، ولكن من حيث هي عنصر مكون لنظام دائري إذ تهتم اللسانيات بتوليد الحدث وبلوغه وظيفته، ثم بتحقيق مردوده عندما يولد رد الفعل المنشود، وهكذا يكون موضوع علم اللسان، اللغة في مظهرها الأدائي ومظهرها الإبلاغي وأخيرا في مظهرها التواصلي[1].

لقد كانت اللسانيات السوسيرية اجتهادا نظريا، راح يبحث عن مشاعر تطبيقية؛ فكانت لسانيات النص– في نظرنا– على رأسها، كون الوظيفة المميزة للكلام بالمقابلة مع التفكير ليست خلق وسيلة صوتية مادية للتعبير عن الأفكار، وإنما هي أن تستعمل

[1]–عبد اللام المسدي، اللسانيات واسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986، ص81. وينظر: صلاح فضل، علم النص وبلاغه الخطاب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب، الكويت، العدد164، صفر 1413هـ/ آب 1992م ص136،137.

كواسطة بين الفكر والصوت، في ظروف معينة تسمح بترابطها الذي يؤدي ضرورة إلى تحديدات متبادلة للوحدات، ما يمنح الكلام التميز والقدرة على التعبير فتجعله متمتعا بالحرية في توليف وترتيب وتنسيق وربط العناصر اللغوية والكلمات.

ونخلص إلى، أن الفضل يعود إلى سوسير في منع التطابق غير المشروط بين المبادئ العاملة على مستوى اللغة الافتراضي، والمبادئ العاملة على مستوى الاستعمال الفردي لها وهو الكلام، الذي أدى إلى ظهور لسانيات النص؛ ليتأكد بذلك أن كتاب دي سوسير هو بوابة العلوم اللغوية الحديثة؛" لأنه كتاب متداخل الاختصاصات، طرحت فيه العديد من الأفكار والمباحث التي تعرضت للنقد والتمحيص

والمراجعة، دون التقليل من شأنها، بل كانت توليدا وتمطيطا وتعظيما لأفكار امتدت فيها إلى غيرها، فمهدت لظهور علوم لغوية، ونظريات حديثة، عادت بحبل وريدي للسانيات الأم، ولا يختلف الدارسون على ذلك؛ لا لكونها جعلت من اللغة موضوعا للبحث، ولكن لحملها بذور منهج يسعى إلى التنقيب عن قوانين داخلية حكمت هذه الظاهرة الإنسانية. وهي قضايا أسست في النهاية، برؤى توسيعية تطويرية جديدة، ممنهجة ودقيقة، لدراسة لسانية نصية متكاملة[1].

2/ المرجعية اللسانية:

تمهيد:

تؤدِّي المرجعيّة اللسانية دورا محوريا في دراسة المدلولية من وجهين: الأول أنَّ تفسير وجود العلامات ومدلوليتها لا يكون إلا بالعودة إلى تجربة اكتساب اللغة، وهي تجربة

[1]– لسانيات النص، المرجع نفسه، ص13.

مرتبطة بالمرجع وعلاقة المتكلم به، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في موضع الكلام عن النظرية السلوكية ودورها في تفسير المدلولية، لأن الأصل في التسمية أنها تعوض الأشياء، والأشياء هي مراجع الكلمات. والوجه الثاني لاستفادة الدرس الدلالي من المرجعية هو جملة مقترحات اللسانيات الملفوظية التي تسعى، كما سبقت الإشارة أيضا إلى دراسة الاستعمال اللغوي في ضوء مقام التلفظ، وذلك ببيان دور العناصر الحاضرة في المقام في عملية تأويل الملفوظات المتواصل بها لأن ممارستنا للملفوظات محكومة غالبا بفضاء ننطقها فيه، ونلجأ إلى مكوناته كالزمان والمكان والأشخاص الحاضرين وحتى الأشياء لكي نعبر عن جملة أفكارنا، ولذلك نجعل في نصوص الملفوظات قرائن مبهمة لا تفهم إلا بإعادتها إلى مراجعها الحاضرة في مقام التلفظ. فملفوظاً من مثل "سافرت إلى تبسة اليوم" يتضمن عددا من العناصر المحلية يعتقد المتلفظ جازما معرفة السامع بها وهي: ضمير المتكلم الذي مرجعه الشخص المتلفظ، واسم العلم الذي مرجعه مكان يفترض أن يتقاسم المتحدثان معرفته، وظرف الزمان الذي لا يمكن تحديد مرجعيته إلا قياسا إلى زمن التلفظ، وكل تلك المراجع تسهم في فهم أفضل للنص وبالتالي تسهم في تحقيق مدلوليته.

لقد كانت هذه من جملة العوامل التي جعلت إميل بنفنيست يستدرك عن فرديناند دي سوسير في مسالة الإطار الطبيعي للسانيات وهو الملفوظ وعلاقاته بالعالم الواقعي من خلال كتاب "مدخل على التداولية"، لأن دي سوسير أهمل لدوافع منهجية

واضحة، علاقة اللغة بالواقع وركز على دراسة اللغة بوصفها كيانا نفسيا خالصا من خالصا من خلال نظام العلامات الذهنية. غير أن بنفنيست انتبه إلى أن اللغة التي تظهر في الملفوظات لا تنفك توظف الواقع في التواصل إلى الحد الذي يجعل تقنين

اللسانيات، بعيدا عن مقاربة مرجعية للألسنة البشرية. أمرا متعذرا، وهو ما سنأتي على تفصيله في مواضع قادمة.

إن المدخل اللساني إلى ظاهرة المرجعيّة هو كونها تقوم على مجموع قرائن لغوية يوفرها النصُ، وتؤدي وظيفة الإحالة إلى العالم الخارجي بطريقة ما، ولا يمكن غير اللساني أن يضطلع بدراسة هذه الآلية. لن نناقش هنا قضية علاقة اللغة بالعالم أو الواقع وما دار حولهما من سجال، لا قضية نشأة اللغة، غير أن المرجعية في مقام هذا البحث تكتسي أهمية كبرى من جهة تعلقها بالنص الروائي لأن الأخبار التي ساقها الراوي عن أحوال الناس تكمن قيمتها في كونها إخبارا عن الواقع أي من خلال مطابقتها للحقيقة غير اللغوية، وقدم النص تلك الحقائق بالاعتماد عن تجربة الإنسان المتلقي في العالم، أي الاعتماد على مرجعية الإنسان، فلا يمكن بحال أن مقاربة الظاهرة في الرواية بمعزل عن آلية المرجعية فيه.

1 – مفهوم المرجع:

لم يذكر الخليل كلمة "مرجع" في معجم العين على الرغم من ورودها في القرآن الكريم في أكثر من موضع بصيغتي "مَرْجِعُكُم" و "مرجِعُهم" منسوبة إلى الناس يوم عودتهم إلى الله بعد الموت، إلا أنه ذكر من الدلالات اللفظية القريبة إلى المعنى الاصطلاحي الردَّ والعودةَ: "رَجْعُ الجواب ردُّه. ورَجْعُ الرشق من الرمي: ما يردُّ عليه. والمرجوعة جواب جواب الرسالة... والرُّجْعة مراجعة الرجل أهله بعد الطلاق"[1]، وفي لسان العرب:

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، المحقق، عبد الرحمان هنداوي، دار الكتب العلمية 1424/ 2003، ط1، ج2، ص101.

" رجع يرجع رجْعا ورجوعا ورُجعى ورُجْعانا ومَرْجِعا ومرْجِعة: انصرف، وفي التنزيل (إنَّ إلى ربك الرجعى) أي الرجوع والمرجع مصدر على فُعلى، وفيه (إلى الله مرجعكم) أي رجوعكم...العبد إذا بعث يوم القيامة وأبصر وعرف ما كان ينكره في الدنيا يقول لربه ارجعون أي رُدُّني إلى الدنيا"[1] ومثل تلك الدلالة على الرد والانصراف في "تاج العروس"[2]، وهي أصل المعنى في المصطلح لأن المرجع في اللسانيات ما يُردُّ إليه المبهم على ما سيأتي بيانُه.

أما في غير العربية فقد " جاء هذا اللفظ من اللغة الإنجليزية (Référent) إلى اللغة الفرنسية التي لم يدخلها إلا في سنة 1820. وهو يعنى في معناه المعجمّي: فغل أو وسيلة للتمرجع والتموقع بالقياس إلى شيء آخر، مثل العلاوات التي تتقرَّر لموظَّف بناء على المرتب الثابت الذي يصبح مرجعا قارًا إذن لهذه العلاوات"[3].

ويظهر هنا نوع من التقارب الدلالي بين المعنيين في اللغويين في العربية وغيرها وعلاقتهما بالمفهوم الاصطلاحي للمرجع في اللسانيات وفلسفة اللغة.

2 – مفهوم الإحالة:

قال الخليل في المعنى القريب من الاصطلاح: "رجل مِحْوال: كثير مُحال الكلام والمِحال من الكلام: ما حُوَّل عن وجهه" وقال في نفس الموضع: "وكل شيء استحال عن الاستواء إلى العوج يقال له مستحيل" وإذا أمكن أن نجرد هذه المعاني عن الأحكام

[1] – محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي كبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص1951.

[2] – مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جوهر القاموس، تحقيق محمود محمد طناحي، وزارة الإعلام، الكويت، 1993، ج21، ص65.

[3] – عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومه، الجزائر، 2007، ص373.

القيمية يمكن أن نجدها تجتمع على معنى التغيير حيث يذكر بعد ذلك (حال الشيء يحول حؤولا في معنيين، يكون تغييرا، ويكون تحويلا. الحائل: كل شيء يتحرك من مكانه، أو يتحول من موضع إلى موضع ومن حال إلى حال"[1]، وهذا المعنى الأخير هو أصل دلالة المصطلح إذ إنَّ العلامة تحيل القارئ على المرجع، أي أنها تنقله من الكيان اللغوي إلى واقع الشيء المشار إليه بتلك العلامة.

ولما كان مفهوم الإحالة مرتبطا بمفهوم المرجع، والذي بدوره يتضمَّن دلالتين مركزيتين إحداهما هي الشيء المسمى وهو كيان خارجي عن اللغة، وثانيهما العنصر المؤول أو المفسَّر، فإن الإحالة بدورها تتخذ مفهومين اثنين في الدرس اللغوي.

يقول ميشال بيري: "ليكن مثالا الجملة: الطفلُ الصغير يأكل. إذا لم تكن هذه الجملة مثالا نحويا بل ملفوظا له مكان وزمان محددان بين متحدَّث وسامع، فإنه من اللازم ألا تتوفَّر على أي غموض حول الطفل الصغير المعني. إذا كان هذا مثالا نحويا فإن

المركّبَ الاسمي (الطفل الصغير) ينطبق على كائن بشري، ذكر، غير بالغ، ولا يهتم كثيرا أن نعرف من هو لأن المسألة تتعلق بمعرفة صحة تركيب الجملة، أو بمعرفة وظيفة المركَّب الاسمي، أو بأية قضية أخرى مجرَّة.

أما عندما نتكلم فعلا، أي بالانتقال من اللغة إلى الخطاب بواسطة فعل التلفظ، فإننا ننسب للمركَّب الاسمي المعني مرجعًا، أي بمجرد توظيف أداة التعريف فإن ذلك يعني تنبيه السامع إلى التساؤل حول ماهية الشيء أو الفرد المتحدث عنه: توظيف أداة

[1] – مرجع نفسه: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ص375/374.

التعريف علامة على أن ما نتكلم عليه يمكن للسامع تحديده"[1]. الملحوظ هنا أنَّ فعل المرجعية متعلق بالحاجة إلى التأويل، بمعنى أن المرجعية تتعلق بعنصر من التركيب نحتاج إلى تحديده لفهم الملفوظ، وهذا المثال يكشف المفهوم الدقيق للمرجعية في المقاربة الملفوظية، وهو يختلف عن المفهوم الأصلي للمرجع في اللسانيات، أي للتصور العام للمرجع بوصفه المسمَّى غير اللغوي.

3 – مفهوم المرجعية :

كان تعريف الدلالة والمرجع توطئة لمناقشة مفهومي المدلولية والمرجعية، والهدف من دراسة هذين المفهومين التعرف على أحد جوانب الماهية اللغوية بصفة عامة، أي اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية. ودراسة المرجعية من حيث هي صفة في اللغة موضوع لساني لا تمكن مقاربته خارج مجال البحث الدلالي حتى وإن كان المرجع ظاهرة غير لغوية فالمرجعية مثلها مثل المدلولية سمة لغوية خالصة.

لا خلاف على أنَّ مصطلح "الإحالة" في العربية دال على الوظيفة، وقرينة ذلك صيغته الصرفية، مثله مثل مصطلح الدلالة بكسر الدال. فإذا أردنا التعبير عن وظيفة نقل

المعنى في الكلمة نقول إن اللفظ يدل على المعنى، وإذا أردنا الكلام على وظيفة الإشارة إلى الشيء المسمّى نقول أنَّ اللفظ يحيل على المرجع. هناك إذن عنصران تحليليان للعلامة في الكلمة هما المعنى والمرجع، ووظيفتان تتعلقان بهما هما الدلالة والإحالة وفي المستوى الثالث من الوصف اللّغوي نبلغ درجة المدلولية والمرجعية، الأولى بوصفها مطلق وجود وظيفة الدلالة، والثانية بالمثل تتعلق بوجود وظيفة الإحالة.

[1] – Michèle Perret: L‘énonciation en grammaire de texte. Armand Colion Paris 2005,p16.

وفيما يلي تعريف في مصطلح "Référence" دلالة على خاصية أو علاقة لا على وظيفة:

أ – جون ليونز: "مصطلح مرجعيَّة كما رأينا ينطبق على العلاقة الموجودة بين الكلمات والأشياء والأحداث، والأفعال والنوعية التي تمثلها الكلمات.

وقد ذكرنا أنه يمكن في بعض المواقف الإجابة عن السؤال (ما معنى الكلمة س؟) من خلال تعريف ظاهري، أي من خلال الإشارة باليد أو بغيرها إلى المرجع أو المراجع الكلمة موضوع السُّؤال"[1]

4/ مرجعية المتخيَّل الروائي.

من أهم المشكلات التي أثارها تعريف الدراسين للمرجعية أنهم حين يتحدثون عم مرجعية للمتخيلات (مثل الكائنات الأسطورية والأماكن السحرية) لا يحددون نوع المرجعية التي يفترضون ضمنها وجود هذا النوع من الإحالات المتخيلة: هل هي المرجعية الأصلية التقليدية التي تتعلق بخبرة الإنسان مع العالم والتي تفسر مدلولية الأسماء في لغته؟ أو أنها المرجعية الفعلية التي تقوم على العناصر المبهمة إلى خارج الملفوظ بقصد من المتكلم؟

يذكر بول ريكور أربع تعريفات للخيال أحدها أنْ "تسمي صورًا التخيلات التي لا تثير أشياء غائبة بل أشياء غير موجودة. فتنبسط التخيلات بدورها بين حدود بعيدة بعد الأحلام التي ينتجها النوم، والاختلافات التي تحظى بوجود أدبي محض كالمسرحيات

[1] – John Lyons : Linguistique générale. P326.

والروايات"[1]، وهو المعنى الذي يقصده فلاسفة اللغة ومحلّلو الخطاب في التعريفات السابقة، ويتضمن نوعين من المتخيّل:

الأول هو الإخبار عن شيء غير موجود ولكنه ممكن بالنظر إلى التجربة والخبرة، فكل الروايات الواقعية لا تنقل أحداثا وقعت بتفاصيلها وحتى القصص التاريخية تتضمن إضافات متخيلة، ولكن بنية تلك النصوص الإبداعية تحاكي بنية الواقع بحيث يقع قبولها لدى القارئ بالنظر إلى منطقية وقائعها وانتظامها.

والثاني هو الاخبار عن شيء غير ممكن بالنظر إلى التجربة والخبرة الإنسانية، مثل الأسماء الدالة على الكائنات الخرافية كالغول في الحكاية الشعبية، أو النصوص التي تتجاوز بنية الواقع وقوانين انتظام الخبرة. فالكلمات المفردة في هذه الحالة لها معان معروفة ولكن الإحالات التي تؤديها في النص تتجاوز المألوف من الواقع.

بالعودة إلى التعريفات السابقة للمرجع والإحالة يظهر ما يشبه الإجماع علة وجود مرجع للكلمات المتخيلة، تماما كتلك التي تحيل على تجارب الإنسان المألوفة، ومن الأمثلة التي ذكرها الدارسون كلمة "هبغريف"، وهو اسم حيوان اسطوري نصفه حصان ونصفه عقرب. ولكي يفسروا وجود مرجع لهذه الكلمة يتحدثون عن عالم افتراضي متخيل يتضمن مراجع تلك الكلمات. بهذه الطريقة حاول تودوروف وديكرو وغيرهم تعميم المرجعية التقليدية على الكلمات، يقول جان ديبوا: "لا يجب الخلط بين وجود رابط للعلامة اللغوية مع الواقع غير اللساني ووجود المرجع. يمكن لكلمة ما أن تحيل على ماهية غير موجودة: فمثلا العلامة

[1] – بول ريكور: من النص إلى الفعل. ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى: 2001، ص165.

Hippogriffe "الهبغريف" لها مرجع دون أن يكون وجود الهِبُغريف ضروريا"[1] فكرة كهذه تحتاج مراجعة دقيقة، ذلك أنه يذكر في بداية تعريفه السابق ما يلي: " نسمي مرجعا الكائن أو الشيء الذي تحيل عليه العلامة اللسانية في الواقع غير اللغوي كما هو مجزأ في خبرة جماعة لغوية ما". فكيف يكون المرجع كائنا غبر لغوي وخياليا في الوقت ذاته؟ ذلك أنَّ كل متخيل هو من إبداع الذهن الإنساني باستحضار الصور وتركيبها، ولا يكون ذلك إلا باللغة

لا يخرج المتخيل عن الماهية اللغوية: "هناك نقد يوجه غالبا إلى القائلين بالمعنى المرجعي ينص على نفي وجود عالم سابق تحيل إليه اللغة: هذه الأخيرة لها في داخلها القدرة على خلق عوالم معقدة. من المسلم به من جهة أخرى إذا أمكن جعل بعض هذه العوالم على علاقة موافقة مع عناصر من بيئتنا اليومية، فإنه ليس لها، لهذا حالة مختلفة من عالم أكثر تخيلا أو تصوريا مبني باللغة"[2].

فوسيلة وجود المتخيل هي اللغة ولهذا جاز القول إن المتخيل كائن لغوي خالص.

عمدت المقاربات الإجرائية للمرجعية وآلياتها إلى تصنيف أنواع المرجعية بناءً على الأدوات التي يوفرها النص او الملفوظ، وهي في عمومها تصنيفاتٌ لا تخرج عن إطار المرجعية الفعلية بوصفها موضوع الملفوظية. أما المرجعية الكامنة فهي كما سبق الذكر تتصلُ بعلم المفردات، أي بالكلمات المعزولة عن السياق، بوحدات معجمية غير مفعَّلة في التواصل.

---

[1] – Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage. P405.

[2] – Michel Aurnague: les structures de l’espace linguistique. P211/212.

مستويات التحليل اللساني:

التحليل اللِّساني هو دراسة المستويات اللغوية بدءاً من الصوت الذي هو أصغر وحدة لغوية، ثم الكلمة التي هي ميدان الصرف، ثم الجملة التي ميدانها النحو، وبعدها يدرس الدلالة، ثم المعجم، وهذه المستويات الخمس متلاحمة فيما بينها، متكاملّة تخدم بعضها وتتعاون من أجلِ بِناءِ اللُّغة[1]. وفيما يلي تفصيل موجز لهذه المستويات:

1 -**المستوى الصوتي:**

الصوت في اللغة من:" صاتَ يصُوتُ، وأَصات، إذا نادى. والصيْتُ :الذِّكْر الحسن"[2] والأصوات اللغوية هي تلك الآثار السمعية التي تصدر طواعية واختيارا عن أعضاء النطق، وهذه الآثار تظهر في صورِ ذبذبات معدّلة، وموائمة لما يصاحبها من حركات الفم بِأعضائه المختلفة.[3]

وقد اعتنى العلماء العرب منذ القديم بالأصوات بدءاً من الخليل الذي أَلَّف كتاب العين وأقامه على أساس صوتي، فقد رتب دراسته ترتيباً صوتياً حسب الحَيّز والمخرجِ، واعتمد في ذلك على تذَوُّقِ الحروف شفويًا، وعلى السمع[4].

---

[1]- ينظر :دراسات لغوية، سميح أبو مغلي، ص 101 ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان- الأردن ط1، 1425هـ،-2004م

[2]-الكليات :معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبي البقاء الكفوي، مادة"صوت"، ص 562 مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط2، 1419-1998م.

[3]-ينظر :الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبد القادر الفاخري، ص 135 ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الأزاريطة- مصر، دط، دت.

[4]- ينظر :مبادئ علم اللسانيات الحديث، شرف الدين الراجحي، سامي عياد حنا، ص 75 ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية- مصر، دط، 2002 م.

والمستوى الصوتي هو الذي يبحث في الأصوات، وكيف تتكون، ومخارجها، وأنواع هذه المخارج، وصفاتها المتنوعة والمختلفة، وطريقة نطقها وتحولها، وتماثلها، ووظائفها المنوطة بها، كما يبحث في المقاطع الصوتية، والنبر والتنغيم[1].

2 **المستوى الصرفي**: وهو ثاني المستويات في التحليل اللساني، وقد اهتم به علماء العربية في القديم، كما اهتم به المحدثون.

والصرف في اللغة من مادة صرف، جاء في لسان العرب: {والصرف رد الشيء عن وجهه}، أي: تحويله وتغييره، ومنه قوله تعالى: [صرف الله قلوبهم بأنهم قوم يفقهون]

وفي الاصطلاح يعر بأنه: العلم الذي تعرف به كيفية صياغة الابنية العربية، وأحوال هذه الأبنية، وأوزانها، والتغييرات التي تطرأ عليها من حيث حركتها وسكوتها، وعدد حروفها، وترتيب هذه الحروف، أو هو: "العلم الذي يبحث في تصنيف المورفيمات وأنواعها، ومعانيها المختلفة ووظائفها، ويستخدم المورفيم كوحدة أساسية في التحليل"

فعلم الصرف إذن يهتم بكيفية بناء الكلمة واشتقاقها، وتصريفاتها، فهو يدرس الوحدات الصرفية والصيغ اللغوية التي تتمثل في الاسم، والفعل، والزمن واشتقاق الأسماء كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصيغ، وغيرها.

3- المستوى النحوي: وهو ثالث المستويات في التحلي النفساني ، وقد اعتنى به العلماء القدامى كما المحدثين وسوف تفصل في هذا المستوى بإنجاز معرجين على التعريف اللغوي والاصطلاحي وبعض متعلقاته.

[1]- ينظر :مستويات اللغة العربية، نايف سليمان وآخرون، ص12 ، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان الاردن ط1- 1420 هـ-2000م.

النحو لغة: جاء في معجب المصباح المنير في مادة [نحا] ما نصه "ومعنى نحوت نحو الشيئ قصدت فالنحو القصد ومنه النحو لان المتكلم ينحو به منهاج كلام العرب إفرادا وتركيبا"

النحو اصطلاحا: عرفه ابن جني في كتابه الخصائص بقوله "النحو إنحاء سمت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير، وتكسير والإضافة والنسب والتركيب، ليحقق من ليس من أصل العربية بأهلها في الفصاحة"

ويعرفه الشريف والجرجاني في كتابه بقوله: "النحو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرها"، أو هو " قواعد يعرف بها أحوال أواخر الكلمات العربية التي حصلت بتركيب بعضها مع بعض من إعراب وبناء وما يتبعهما".

ومن هذا يتبين أن النحو هو قواعد توضح أحوال تركيب أجزاء الجملة، وتأثير بعضها البعض وتغيير أحوالها الإعرابية باختلاف المؤثرات الداخلية عليها.

والمستوى النحوي شأنه شأن المستويات الأخرى له موضوعات يدرسها، فهو يدرس العلاقات الداخلية بين الوحدات اللغوية، الطرق التي تتألف بها الجمل.

4- **المستوى الدلالي:** وهو رابع المستويات في التحليل اللساني والدلالة من الفعل دلّ، اهتديت الطريق وأدُلُّك...الطَّريق وقد عرفها الزمخشري في معجمه بقوله:" على القرآن في اللفظة هذه وردت مترِل.[1]" وقد له عنده من وعلى قريبه على وأدَلَّ...إليه

[1]- أساس البلاغة، الزمخشري، مادة "دلل" المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، دط، 1426 – 2005هـ.

{وحرّمنا عليه المراضعَ من قبل فقالتْ على اهل بيت :تعالى قوله نحو في الكريم يكفلونَهُ لكُمْ وهمْ لهُ ناصحوُنَ} [1].

والدلالة اصطلاحا :يعرّفها الراغب الأصفهاني بقوله:" هي ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى"[2]، وهي كذلك:" كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو والثاني المدلول"[3]، أو هي،" دلالة الألفاظ على معانيها الموضوعة بإزائها، كدلالة السماء والأرض والجبال على مسميّاتها".[4]

ثالثا: المرجعيات الفكرية:

تمهيد:

تتعدد مفاهيم المرجعية بحسب الحقول المعرفية، والمجالات التي تلحق بها فهناك المرجعيات الفلسفية والمرجعيات الدينية، والمرجعيات التاريخية والمرجعيات السياسية وغيرها كثير لعل أهمها المرجعية الفكرية باعتبارها تؤطر الكل، وعليه فالفكر العربي و الإسلامي المعاصر يسمي " المرجع " و " المرجعية و " يعني أن المرجوع إليه الذي يردّ ويعاد إليه أصل ومبدأ كلي جامع يحسم الخلاف وينهي النزاع ، إذ غالب الرجوع بما هو رد وعودة إلى أصل يكون بعد خلاف في فرع، أو نزاع في جزء، يضاف إلى هذا أن

[1]– سورة القصص، الآية12 .

[2]– المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة " دلل"، ص 117 ، تحقيق :محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، دط، دت.

[3]– المعجم المفصل في علوم اللغة، محمد التونجي، راجي الأسمر، ص 310 ، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1 ، 1414هـ، 1993م.

[4]– فصول في علم اللغة العام، علي عبد الكريم الرديني، ص195

هذا الأصل لا يمكنه أن يكون إلا ذاتيا محددا للذات هوية وحضارة ، ولا يمكنه أن يكون شيئا آخر خارجا عنها[1].

1- مفهوم المرجعية الفكرية:

المرجعيةreference :

هي ما يختزن في الحافظة الانسانية وما يدخر من صور وأفكار وانطباعات حسية للعالم الموضوعي، والمرجعية اما أن تكون واقعية أي لها جذو من الواقع ومماثلة معه او تخيليًا خاضع للاستعارات عقلية فكرية تدخل في بنية ما يبدعه الفرد لاسيما الفكر.

الفكريةIntellectual :

الفكر لغة:

فكر، يُفكر تفكيرًا –في الأمر: اعمل العقل فيه ليعمل مستعينًا ببعض ما يعلم الى مجهول او الى حل– وفكرت كثيرا في هذه المشكلة وقد توصلت الى حل مرض ويقال" فكر يفكر في الشيء: عمل الفكر والعقل فيه ليتوصل الى حله او ادراكه. الفكرة الخاطرة الذهنية "، " فكر – التفكُرُ التأمل. والاسم الفكر والفكرةُ والمصدر الفكر بالفتح قال يعقوب: يقال ليس في هذا الامر فكر، أي ليس فيه حاجة. قال: "والفتح فيه افصح من الكسر. وأفكر في الشيء وفكرَ فيه وتفكرَ، بمعنى وجل فكير: كثير التفكرُ".[2]

[1] – احسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الشروق ، دمشق ، –2006 – ، ص 171

[2] – الفيروز ابادي، محمد بن يعقوب ين ابراهيم، القاموس المحيط، بيروت مؤسسة الرسالة 2005 باب فكر

الفكر اصطلاحا:

عرف الفكر من وجهة نظر فلسفية بأنه: "يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات"، والفكرة" أسمى صور العمل الذهني، بما فيه من تحليل وتنسيق" وهو عند افلطون: "النموذج المثالي للأشياء الحسية، فهي الوجود الحقيقي".

ويتفق الباحث مع التعريف الذي يروده (روزنتال) للفكر اذ يرى أنه: "النتاج الاعلى للدماغ بوصفه مادة ذات تنظيم عفوي خاص وهو العملية الايجابية التي بواسطتها ينعكس العالم الموضوعي في مفاهيم واحكام ونظريات ويظهر خلال انشطة الانسان الاجتماعية والانتاجية وتضمن انعكاسًا وسيطًا للواقع ويكشف الروابط الطبيعية داخله."[1]

المرجعية الفكرية:

تقع المرجعية على الفكرة نفسها، أي فكرة البحث عن الأصل ونسبة الخطاب الروائي اليه فالمرجعية هنا هي "العالم الذي يحيل إليه ملفوظ لغوي، علامة منفردة كانت أم تعبيراً مركباً، ويكون ذلك العالم إما واقعياً م وجوداً حاضرًا وإما متخيلا لا يطابق أي واقع خارج التعبير اللغوي وهذا يستلزم بالضرورة من يدرك ذلك العالم أو يمثله، ثم تنتج الدلالات التي يمكن أن يعبر عنها العالم المرجعي المعروف في التعبير.[2]

إن إرجاع الكلمة أو الفكرة في الرواية الى أصلها هو شكل من أشكال الدراسة الثقافية التي تحاول استجلاء النصوص الأدبية والبحث فيها بوصفها وثائق تاريخية او اجتماعية توضح طريقة المؤلف الحقيقي في توجيه السرد وغاياته التي اضمرها لكنه وجه التمثيل السردي باتجاه تحققها في ذهن القارئ، فالكتابة الروائية في الغالب هي تمثيل ومحاكاة

[1] –روزنتال، البودلين، الموسوعة الفلسفية،تر: يوسف كرم، الطبعة3 ، بيروت، دار الطليعة 1985

[2] –مرجعية بناء النص الروائي، الدكتور عبد الرحمن التمارة، دار ورد للنشر والتوزيع، الطبعة – الأولى ،2013، عمان ص52

لفكر الإنسان وتحولات المجتمع وصور الاقدار.اعتمادا على ذلك فان متابعة المرجعية التي تتحرك على وفقها الأحداث وتتبناها الشخصيات تعد قراءة ثقافية تبحث وسائل الرواية المضمرة لمقولات موارية لا تبدو علنية أو واضحة، لكنها ضرورية لجعل النص الروائي مزيجاً متفاعلاً فيما بين عناصره ودلالاته الفكرية والسياسية والتاريخية، الأمر الذي يفتح آفاق الحوار الفكري مع المتلقي.

1 المرجعية الدينية:

يعتبر التراث الديني مصدرا سخيا من المصادر التي تدعم النص الأدبي ومادة غنية يشتغل عليها معظم الأدباء، لكون الدين لازم ظهور الإنسان، وتعدد بتعدد البشر "مما لاشك فيه أن للبشرية أديانا سماوية جاءت عن طريق الوحي من السماء، وهي على الترتيب اليهودية والمسيحية والإسلام ومما لا ريب فيه أيضا، أن هناك أديانا غير سماوية تشكلت بطريقة ما لتقوم بوظيفة الدين السماوي بين البشر منها المصرية القديمة و المجوسية والبوذية ومعتنق عقيدة ما، تشكل بطريقة أو بأخرى رافدا تراثيا كبيرا في تكوينه الثقافي". [1]

وهذا ما شكله الدين الإسلامي في تاريخ الأمة العربية، وفي أدبها، سواء تعلق الأمر بتوظيف النص القرآني وقصصه، أو السيرة النبوية الشريفة، أو توظيف بعض الشخصيات الإسلامية، أو التيارات والمذاهب التي عرفت في تاريخ الإسلام ونسبت إليه.

[1] –سعيد شوقي محمد سليمان: توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، ايتراك للنشر والتوزيع ط1،مصر 2000، ص4

أ -النص القرآني:

يشكل القرآن الكريم المرجع الأول ، بالنسبة للرواية العربية باعتباره النص السامي المقدس الذي يرجع إليه المبدع ، فهو يفيض بالصياغة الجديدة والمعنى المبتكر ، إذ يصور خلجات النفوس وتقلبات القلوب ، وكل مظاهر الحياة ، الخاصة والعامة وصوره تغني عن أي تعبير آخر ذلك لأن القرآن الكريم هو " نص لغوي يمكن أن نصفه بأنه يمثل في تا ريخ الثقافة العربية نصا محوريا وليس من قبيل التبسيط أن نصف الحضارة العربية الإسلامية بأنها حضارة(النص)، بمعنى أنها حضارة أنبتت أسسها وقامت علومها وثقافتها على أساس لا يمكن تجاهل مركز (النص)فيه . وليس معنى ذلك أن (النص) بمفرده هو الذي أنشأ الحضارة، فإن النص أيا كان لا ينشئ حضارة ولا يقيم علوما وثقافة. إن الذي أنشأ الحضارة، وأقام الثقافة جدل الإنسان مع الواقع من جهة وحواره مع النص من جهة أخرى".[1]

إن دلالة القرآن الكريم على الذات الإلهية ميزته بصفات عديدة، فالإطلاق واقع في كل شيء في نظمه وطرق بنائه ، بحيث لا يمكن إد ا رك جل المعاني التي وردت فيه وفي الوقت نفسه لا يمكن تحديد بدايته ونهايته ، من حيث دلالته ، مما جعل هذه الدلالة مطلقة مفتوحة ومتعددة . تفتح المجال واسعا أمام آفاق التأويل، والإحالة على سياقات متعددة، ومختلفة مما أضفى عليه الفصاحة والبلاغة والإعجاز.

[1] –نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ،ط2، بيروت لبنان،1994، ص9

ب-القصص القرآنية:

القصة في اللغة:

ورد لفظ (القصة) بمعاني كثيرة، جاء في لسان العرب- ... " القص فعل القاص إذا قص القصص والقصة معروفة. ويقال: في أ رسه قصة يعني الجملة من الكلام ونحوه قوله تعالى ﴿ **نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ** ﴾ أي نبين لك أحسن البيان.والقاص الذي يأتي بالقصة من فصها. ويقال: قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء ومنه قوله تعالى ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ**﴾ أي اتبعي أثره[1]" ...

القصة في الاصطلاح :

القصة بمعناها العام " أحدوثة شائقة، مروية أو مكتوبة يقصد- بها الإقناع أو الإفادة وبهذا المفهوم الدلالي ، فإن القصة تروي حدثاً بلغة أدبية ا رقية عن طريق الرواية أو الكتابة، ويقصد بها الإفادة، أو خلق متعة ما في نفس القارئ عن طريق أسلوبها وتضافر أحداثها وأجوائها التخييلية والواقعية ، و القصة عند الكاتب الإنجليزي :هـ. تشارلتو TCHARLETON. B.H إن لم تصور الواقع ، فإنه لا يمكن أن تعد من الفن .أما الناقد الإنجليزي :والت أ رلن ALLEN WALTER في ا رها أكثر الأنواع الأدبية فعالية في عصرنا الحديث بالنسبة للوعي الأخلاقي، فهي عن طريق فكرتها وفنياتها تتمكن من جذب القارئ إلى عالمها فتبسط الحياة الإنسانية أمامه بعد أن أعادت صياغتها من جديد" .[2]

يعالج هذا المفهوم القصة كلون أدبي فني، أما القصة القرآنية، فلها مفهوم آخر وذلك

---

[1] -ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: نخبة من الأساتذة، ط1، مج7، مادة "قص" مصدر سابق ص388.

[2] - شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، اتحاد الكتاب ، ص10

بسبب أغراضها وأهدافها، وأسلوبها، فهي " أخبار عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة، وقد اشتمل الق آ رن الكريم على كثير من القصص، ووقائع الماضي وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه".[1]

فهي تقدم النموذج في الصراع بين الحق والباطل ، والخير والشر، في جو معجز تجسده أقوال وأفعال الأنبياء مع أممهم، وبذلك نجد أن تميز القصص القرآني يرجع إلى طبيعته من حيث هو قصص هادف يسعى إلى تقديم عرض محدد ، يشخص أحداثا تتناغم والغرض الذي وردت من أجله، ألا وهو الهداية إلى الصراط المستقيم ، وفق تسلسل معين يعتمد في أغلب الأحيان على حذف الجزئيات و التفاصيل المملة مع التركيز على الغ رض ، وهو ما يجعل المتلقي يسرح في الخيال عبر عوالم عجائبية مختلفة، وهو ما جعل هذا النوع يقدم أ نموذجا متفردا للرواية العربية عموما، و الجزائرية بشكل خاص.

2 – المرجعية التاريخية:

تلعب الرواية دورا مهما في استحضار و استجلاء ما حدث في التاريخ لكونها أفضلا لأدوات تعميقا وصدقا في تصويره، وبما أن (الإنسان ما هو الأن إلا مجموع ماضيه) [2]، كانت العودة إلى الزمن الماضي في الأعمال الإبداعية سمة ميزت الكثير من الروايات التي تستقي من التاريخ مادتها باعتباره من الروافد الأساس التي تستلهم الماضي وتستدعيه لأغراض متعددة، "حيث نجد الكثير من الروائيين يستخدمون التاريخ

[1] –مناع القطان: مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3،2000ص 12

[2] – بشير بويجرة محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع (د.ب) 2002، ص22.

ليكون بمنزلة (المادة الخام) لرواياتهم"[1]، وسمي هذا النوع من الروايات التي ترتكز على التاريخ في نسج كتاباتها برواية تاريخية.

وأول ما يتبادر إلى الذهن عندما نتحدث عن الرواية التاريخية هو العلاقة التي تربط الرواية بالتاريخ لينشأ نوع خاص عرف بالرواية التاريخية، فعلى الرغم من وجود اختلافات عدة بين وظيفة المؤرخ ووظيفة الروائي من ناحية، وأسلوب كل منهما فيعمله من ناحية أحرى، إلا أن التاريخ (مورد لا ينضب بالنسبة للروائي بشكل خاص والادباء بشكل عام (....) التاريخ أشبه بنهر متدفق (....) فكما يختار المؤرخ قوس عينة) من محتوى هذا النهر لتحليلها، يمكن للروائي أن (يغترف) من النهر ما يشاء ليعيد تشكيله وفق شروط عمله الفني)، فهنا كعلاقة وطيدة بين التاريخ والروايات، حيث استوعبت هذه الأخيرة بنية التاريخ، وضمنه إلى نسيجها الخاص الداخلي، وبهذا تكون الرواية التاريخية قد مزجت بين عنصرين (الواقع/المتخيل)، لان أساس التاريخ هو الواقع، بينما واقع الرواية متخيلها ف(الخيال عند الروائي مقدس والحقيقة مجال للانتهاك، ولابد أن العكس صحيح عند المؤرخ)[2]، فعمل المؤرخ(تحقيق وسرد ما جرى فعلا في الماضي)[3] ، بينما الرواية تعقد على الخيال فهي لا تتحدد (سيماتها الشكلية بقدر ما تتحدد بمدلولها المرتبط عادة بفكرة المتخيل)[4]، الممزوج بالحقيقة (الواقع).

---

[1] –قاسم عبده قاسم، التاريخ والرواية، تفاضل أم تكامل؟20018

[2] –طارق علي، تأملات في الرواية والتاريخ، دار الكتب القطرية(د.ط)، 2005م، ص30

[3] –عبد االه العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2 1988 ص9.

[4] –برنار فاليط، النص الروائي، تر/رشيد بن حدون المشروع القومي للترجمة، باريس، (د.ط) 1992م، ص6.

فالتخييل والواقع عنصران أساسيان في العملية الإبداعية لا يمكن فصلهما عن بعض (فللنص الادبي مزيج من الواقع وأنواع التخييل ولذلك فهو يولد تفاعل بين المعطى والمتخيل، ولأن هذا التفاعل ينتج شيئا أكثر من الفرق بين المتخيل والواقع في يستحسن تجنب التعارض القديم بينهما)[1] إن التفاعل والجمع بين المتخيل والواقع يشكل حجر الأساس في العمل الروائي.

وفي صدد الحديث عن التفاعل بين المعطى والتخييلي تجد الرواية لا تقوم على استهلاك ما حدث في التاريخ، وإنما تستقر خلفيته المتنوعة في التعبير عن رؤيتها الخاصة للعالم، باعتماد لغتها الانزياحية عن التاريخي وإدخال عنصر التخييل في سردها، فمهمة الروائي ليس نقل الواقع كما هو، بقدر ماهي تجاوز له، وإعادة صوغ لمعطياته بطريقة فنية، فالرواية تتخذ وتجعل من التاريخ مادة لها (ولكنها لا تنقل التاريخ بحرفيته بقدر ما تصور رؤية الفنان له، وتوظيفه لهذه الرؤية للتعبير عن تجربة من تجاربه أو موقف من مجتمعه يتخذ من التاريخ ذريعة لها)[2]، فلا يستطيع المبدع أن يعبر عن رؤية أو تجربة، أو موقف أو يمرر رسائل معينة، وإسقاطات عن الوضع الحالي، او رسم لوحة فنية يجسد أحاسيسه ومشاعره المحاكية للواقع عن طريق مباشر بدون وساطة للتاريخ الذي يبقى (قاعدة قابلة للتحريف عند الضرورة).

[1] –حورية الظل، الفضاء الروائي بين الواقع والتخيل، المجلة العربية، (د.ب) ع450، رجب 1435هـ، مايو 2014م،ص48.

[2] –عبد الحميد عبد العظيم القط، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، دار المعارف، القاهرة (د.ط) 1980، ص33.

كما تلعب الرواية دورا مهما في إعادة استعادة التاريخ، وترميم فجواته ونقد معطياته الثابتة، وذلك بحفر أطورا التاريخ، والبحث عن الحقيقة وملابستها، وتثبيت الوقائع المسكوت عنها والمهمشة، فالرواية (تعبر عن رؤية خاصة للتاريخ والواقع)[1]

فهناك بعض الحقائق سكت عنها المؤرخون في كتاباتهم إما بدافع إيديولوجي، أو تقصير في استجلاء الحقائق لغياب المصادر الموثوقة فغيبت معها الحلقات المفقودة من التاريخ ولهذا فإن بعض النقاد ذهبوا إلى ضرورة توظيف هذا المهمش وفق التخييلي بالاستناد إلى الشفوي المخزون في الذاكرة الجماعية.[2]

3-المرجعية الأدبية:

تشكل المرجعية الأدبية رافدًا هامًا من روافد الإبداع، وبواسطتها يقبل القارئ على قراءة النص الأدبي، بل يحفظه ويألفه ويحن إليه. إن المرجعية الأدبية هي غير الموروث الأدبي، فالموروث هو مجموعة المعارف والآداب والقيم والأعراف المألوفة والمحفوظة في ضمير الأمة جيلاً عن جيل. اما المرجعية الأدبية فهي صدى هذه التقاليد والثقافات والطرائق، وهي مثل الموروث تتخل في تشكيل الذائقة الأدبية، بل تحافظ على استمرار نمط معين من الأفكار والنصوص والصور والأحاسيس، وحينئذ فإن قراءة النص الأدبي

[1] – آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل الى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،ط2،2011، ص55.

[2] – محمد بن مصطفى، التاريخ والمتخيل في ثلاثية الجزائر لعبد المالك مرتاض–الملحمة–الطوفان –الخلاص–، رسالة ماجستر في الأدب العربي، إشراف الدكتورة حليمة الشيخ، جامعة وهران الجزائر 2015،2014، ص8.

تصبح عملية مشتركة بين المبدع والمتلقي. أما أواصر القربى بين الطرفين فتتحكم فيها عدة عوامل منها: تشكيل اللغة، وتأطير الصورة وتنظيم الموسيقى والأنغام.[1]

وبناء على ذلك يكون القارئ قد ألف سمعيًا هذه النصوص، وواظب على خطاب شعري معين فتتقلص المسافات الزمنية والمكانية بينه وبين المبدع، وإذن فإن السمة الغالبة على هذه العلاقة في اعتقادي هي ليست تاريخية بقدر ماهي سمعية وجمالية وانتقائية، فالقارئ (هو الذي يتحمل مسؤولية المعنى، لأنه هو الذي يختار من بين الإمكانات المتعددة التي يوفرها النص إمكاناً يبدو له أكثر قدرة على الإحاطة به واستقطاب المعني الجزئية المتناثرة في فضائه).[2] ولهذا السبب تتحول نفس القارئ صوب جهة معينة من النص يجد فيه غايته المرجوة، بل توافق رغبته وإحساسه وتوجهاته الحياتية.

إن القارئ وحده هو المخوّل فنيًا في الحكم، وإليه يعود فصل الخطاب فالكلمة بالنسبة إليه صورة أكثر منها لفظة، والكلمة للشاعر: "رمز أكثر منها معنى، ولذلك كان الشاعر حياة اللغة لأنه يحملها من المعاني أكثر مما تحمل في الأذهان، ويزاوج بينها وبين شقيقاتها طلبًا للتوتر والزخم والانسجام والإيقاع"[3]. أما مسالة الفهم فهي مسألة عويصة ومعقدة ومتعددة الاتجاهات، فمن جهة بقي بعض القراء محافظين على مستوىً ثقافي محدود بسيط. و بالتالي فإنهم لا يستسيغون غلا نوعا معينًا من النصوص، وبقيت نفسه تشتاق إليها، وفي كل الأحوال فإن الأنماط الجديدة لا تُلغي الأنماط القديمة ولا ينبغي

[1] – رزاق محمود الحكيم –المرجعية الأدبية وتجليات القراءة في النص الشعري –ص 117

[2] – الدكتور حمادي صمود–من تجليات الخطاب الادبي، ص 117.

[3] – يوسف الخال – الحداثة في الشعر ص82.

لها ذلك، بل تتعايش الأنماط والأشكال، وتتنافس في الاستحواذ على ذائقة القراء. "إن غاية كل قراءة إنما هي معرفة الأنا وتطوير وعيها عن طريق اكتشاف الآخرين"[1].

4- المرجعية الاجتماعية:

إن موضوع المرجعية الاجتماعية تكتنفه العديد من الصعوبات الإجرائية في تحديد مفهوم واحد، ومحدد له كونه يتصل بالجوانب البنائية المختلفة للأسرة وحياتها الاجتماعية والاقتصادية والمعايير التي تحكم الأسرة، إذ يوجد نسق من الترتيب الاجتماعي في كل مجتمع طبقا لعدد من العوامل مثل التعليم والمهنة والممتلكات والتفاعل الاجتماعي والمكان، وقد بينت الدراسات في مجال المرجعية الاجتماعية انه إذا استطعنا تحديد نسق للفئات الاجتماعية، فإننا نستطيع تمييز نطاق شامل من الخصائص المختلفة لكل فئة فالفئات الاجتماعية المختلفة تختلف فيما بينها من ناحية تفسيرها للقيم وأنماط الحياة الأسرية وأنماط السلوك ولكل منها نمط حياة متمايز.[2]

فالرواية تستمد لغتها من المجتمع ومن الواقع الاجتماعي فهي تولي الروائيين أهمية للغة كونها الركن الأساسي في العمل الروائي وإذا نظرنا إلى طبيعة الواقع التي تطرحها الروايات الاجتماعية نجدها اجتماعية محض فهي تستقطب موضوعاتها من المجتمع فتحاول نقل هذا المجتمع قدر الإمكان (فاقتربت الرواية من الواقع حينا إلى الدرجة التي جعلتها تسجيلا حرفيا لأحداث هذا الواقع)[3].

---

[1] -الدكتور حمادي صمود –من تجليات الخطاب الأدبي، ص114

[2] – نجم عبد الله الحوسني :علاقة الخلفية الاجتماعية والاقتصادية للأسرة بانحراف الإحداث مشروع بحث مقدم للحصول
على درجة ماجستير، قسم علم اجتماع ، الإمارات، 1994 ، ص21

[3] – عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، دراسات في الرواية العربية، دار الحقيقة للإعلام الدولي، ط1 1411 .هـ، 1990 م، ص4

تركز الرواية على الواقع الاجتماعي، إذ جعلته يشغل الحيز الأكبر فيها، فتحاول نقله بصورة حرفية خاصة أن هذا الواقع أصبح العنصر الرئيسي فيها، فأصبحت الرواية بذلك صورة حية للواقع الاجتماعي عبرت عنه في قالب روائي .فهي من أكثر الفنون الأدبية حساسية اتجاه المجتمع واتجاه تلك العلاقات الاجتماعية (إن الرواية تكاد تكون أكثر الأجناس الأدبية حساسية اتجاه المجتمع، فالنسيج الروائي كشبكة مؤلفة من شخصيات وحوادث ولغة، إنما يشابه نسيج الوجود الاجتماعي في تكونه من العناصر إياها شخصيات وحوادث ولغة)[1] ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن العلاقة بين الرواية والمجتمع تتمحور في أنها تصور الحادثة الاجتماعية وتنسج أحداثها بلغة مستوحاة من هذا المجتمع وشخصيات مستوحاة من الواقع، فالنسيج الذي يشكل الواقع مشابه للنسيج الذي يشكل الأحداث في الرواية (وكذلك الرواية كشبكة علاقات مشابهة لشبكة العلاقات الاجتماعية) [2]وهذا ليس بالغريب لأن الرواية تنسج أحداثها وتحبكها من الواقع فهي تصور العلاقات الاجتماعية والقضايا الاجتماعية في أعمال فنية إبداعية وتسعى بذلك إلى نقل الحقيقة.

[1] –الخطيب محمد كامل، الرواية والواقع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط1 1988، ص15

[2] –نفسه ، ص17

الفصل الثاني

مستويات التحليل اللساني والمرجعيات الفكرية في الرواية

تمهيد:

يمثل النصّ الروائي أحد التجليّات اللغوية، كما يمثل تعبيراً عن مستوى من مستويات الأداء والتشكيل للغة ضمن مقاربة أشكال التعبير السّردي. ولكن تظلَّ حركة اللغة وأدواتها مقيَّدة بطبيعة النص الروائي وما يتضمنه من خاصيّة تعبيرية تتمثل في حركة الشخوص ومحتويات السرد؛ ومن ثَمَّ تكتسب اللغة سمة تحددها ملفوظات النصّ الروائي. كما أن النص الروائي ليس حصراً على الشخصيات الروائية الناطقة باللغة في بنيته التكوينية، فإن التعبير عن محتويات النص الروائي وعلاماته المتضمنة في السرد تخضع إلى معايير اللغة وقواعدها وتعمّق وتوسّع من المفردات اللغوية وذلك بالدلالات التي عادة ما تتشكل على المتن الروائي، فإذا كانت اللغة في العملية السردية هي الثابت من حيث وجودها القبلي، فإن الخيال مصدر النص الروائي متغير ومتجدّد. وتكون اللغة في ذات المستوى المعياري من قبل أن تستخدم قدراتها التعبيرية في جنس أو يتبناها شكل تعبيري ما، فوجودها في أكثر من حيز وشكل تعبيري يؤكد هيمنتها على لعب دورها الثابت في رسم الخطاب السردي المتطور تاريخيا والمتعدد المستويات من الشعر والحكي والممارسات الطقوسية اللغوية وما إليها. ونجد أن اللغة قد ظلت كذلك في طائفة من أشكال التعبير الفني والجمالي والأدائي. وهذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال دراسة الجوانب اللغوية أي "المستويات اللسانية" من صوت وصرف وتركيب ومعجم وكذلك الجوانب الفكرية في رواية رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا للوقوف على المرجعيات اللسانية والفكرية لها.

قراءة في الرواية:

يعود بنا الروائي والباحث والأستاذ الجامعي الدكتور عيسى مومني مجددا إلى معنى الكتابة، وكتابة المعنى، عبر روايته الجديدة:

"رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا" التي هي امتداد لروايته الأولى:

"صحو الكلام".

"رائحة خبز الصباح" هي محاولة لقراءة الذات، ومحاورة التاريخ من خلال البحث عن أركيولوجيا الأنا المغرق في الفراغات والمخاوف والانزلاقات، وهي سجالات حول الكينونة بين أزمة الشرخ والترهّل التي تختزنها أنطولوجيا الانكسار والانحدار، وبين امثولة التاريخ الذي يبعث المعنى، ويساءل الحاضر ويعمّق الرؤية:

" رائحة خبز الصباح"، مخزون ذهني يؤشر بالأضواء على تواريخ محفورة في الذاكرة.

معالم الطريق فيها: راية رفعها الأجداد، وجغرافية حفرها التاريخ، وأبجدية أضاءت الدروب، وقصيدة موازية لرهبة الحياة في كل زمان.

اللحظة فيها مضيئة وكاشفة، ولواحق تاريخا تحكي تقرحات الروح" من مقدمة المؤلف ص08.

ها هنا تبدو الكتابة فينومينولوجيا متقطعة، تستدعي الحضور في كل لحظة من لحظات الخطاب، وتعيد اكتشاف الذات عبر مجهر التاريخ، وبوصلة الذاكرة التي ترتسم في لوحته صورة الإنسان الجزائري، وهو يمتد في الكينونة والزمان عميقا، غير انه يمتد ويوغل وجودا لا كتلة من الممارسات والآثار، إنه يدرك انتماءه للأمة، أو للمعنى.

وبصيرورة الأنا الموغل في فلسفة النحت، يحفر في خفايا الزوايا، باحثا في الأمة عن الأمة التي لم تعد تر المسافات، والحدود والظلال:

"وصار اللافت في كل شيء فقرها المعرفي حين يروى، لهذا أن يوقد لهم منارة تحكي تاريخ الأجداد يوم كان لهم فجران وضحى، وظهرا" الرواية ص23.

بطل هذه الرواية هو "الشاعر عمر"، أما الصوت الآخر في السرد المثخن بالأفكار والمعرفة والحدود المنهجية– فهو القصيدة التي تعيش لحظة الأزمة وتدخل عالم الرواية لتصيّرها في عالمها، ورغم أنها جزء من المعاناة إلا أنها جسدت هوية الكتابة التي فضّلت أن تكون شعرا تزيّا بالفكر:

"وهذا محور قصيدتي. وهذا سبب عدم تفريطي في قصيدتي، فهي هبة السماء وعطاء الموهبة" الرواية، ص08

في سفْر الرواية وسفرها نغامر مع أصدقاء عمر: مروان وخالد وأحمد في رحلة الرمز، الذي يقول ثقافة العدل ولحرية مع رمزية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وثقافة الانتصار مع رمزية خالد بن الوليد عليه الرضوان، وذاكرة الحضارة مع مروان بن الحكم ومنها نعمّق الرغبة في إعادة إنتاج خطاب التناص من وجهة نظر ثقافية وحضارية بوصفه إحالة على لاوعي النص، وبالضرورة على وعي الكتابة والقراءة.

في هذه الرواية التي خرجت لنا في صورة قصيدة، وفي لحظة أركيولوجيا مفتوحة على التناقضات والتقاطعات نقرأ ابن سينا، ومالك بن نبي، أبا علقمة النحوي وبيلي كولينز...، وجغرافية التاريخ القديم والوسيط بتعبير الاستشراق الكلاسيكي ونرى المعرفة والنظرية والمنهج، ونهيم في صوفية المعنى وشفافيته.

هي رواية تستحق القراءة والقراءة معا

مرجعيات التحليل اللساني في رواية "رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا".

أولا: المستوى الصوتي

تعد الدراسة الصوتية المحور الأول للدخول إلى النص الأدبي، وبداية الولوج إلى عالمه وإحساس بوعي لما فيه من قيم جمالية، فالصوت هو الوحدة الأساسية للغة، لأن الصوت أصغر وحدة في اللغة.

إن التشكيل الصوتي مجال رحب لكشف جماليات المكون الصوتي المتمثل بكل ما له علاقة بالنبر والتنغيم والتركيب وتفاعل الدلالات، ونشاط السياق وفاعلية التشكيل في قدرته على خلق إيقاعات متنوعة وربط المعنى بالتأثير الصوتي، كما يعد الصوت شكلا من أشكال التواصل القائم في عالمنا الواسع، إذن فعلم الأصوات في اللغة يهتم بالجانب الصوتي فيها ويتجلى ذلك في: مخارج الأصوات وخصائصها، وتركيبها معا في بناء مقاطع وكلمات، ثم انتقالها بواسطة الهواء إلى أن تصل إلى أذن المستقبل لها، ثم تترجم إلى دلالات.

1 – دلالة تكرار الأصوات في الرواية:

من بين أسس الدراسة الأدبية، الدراسة الفونيمية، فالبناء الصوتي يظهر في بعض جوانب النص الأدبي من خلال الملامح الصوتية المتمثلة في طبيعة مخارج الأصوات كالجهر والهمس وتفخيم وترقيق واحتكاك وانفجار فلكل صوت من الأصوات سمة خاصة وهو ما سنقف عليه من خلال استخراج نماذج من هذه الأصوات في رواية

رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا. حيث يظهر لنا ذلك الحزن الذي صوره لنا الكاتب في الرواية وهو نوع يظهر في الأصوات المهموسة

يظهر في رواية رائحة خبز الصباح أن الكاتب تبين كثافة شديدة في تكرار الأصوات المهموسة، ويتكون المهموس من الأصوات التالية (التاء، الثاء، الحاء، الخاء، السين الشين، الصاد، الطاء، الفاء، القاف، الكاف، الهاء) وفي الرواية تبين كثافة شديدة في لاستعمال صوت التاء، حيث بالغ الكاتب عيسى مومني في توظيف هذا الحرف المهموس الانفجاري الجديد. ومن أمثلة حرف التاء الموجودة في الرواية نجده عنون باب في قصيدته وابتدأ بها فيما سماه ب تقرحات الروح أي عذاب الروح حيث صور لنا من خلال العنوان الحزن والحسرة في شخصية عمر تجاه بلده التي يحاول المستعمرون سلبها كما نجده في قوله لنزار قباني:

ورأيتُ منزلَنا القديم...وحجرةً

كانتْ بها أمّي تمدُّ وسادي

والياسمينةَ، رُصَّت بنجومها

والبركةَ الذهبية الإنشاد

حيث يحاول أن يشرح لنا من خلالها تعلق الشاعر بالذكرى من خلال المكان العام يلجأ إلى المكان الخاص والمغلق وهو منزله، فيستذكر الغرف الصغيرة التي بعثت مشاعر الحنين إليه، ثم يتذكر حضن أمه وحنانها في كل ليلة تخاف عليه من البرد فتمد الوسادة الدافئة له، كما يستمر في وصف المكان الذي كان ينشأ به، فهو مكان مليء بالنجوم التي تمثل الجواهر المرصعة بالذهب، كما يستذكر البركة الذهبية ذات المياه الصافية

وأما صفة الشدة والهمس اللتان يتصف بهما حرف التاء، فإنهما بارزتان ومتجليتان في واقعي عيسى مومني: الروائي أي على مستوى الكتابة الروائية، وواقعه المعيشي من مأساة واضطهاد.

أضافة إلى حرف التاء نجده يوظف حرف "القاف" صوت شديد، ويوصف بأنه للمفاجأة والمقاومة، وكلا الوصفين يفضيان به إلى أحاسيس لمسية من القساوة والصلابة والشدة وإلى أحاسيس سمعية وبصرية، من فقاعة تنفجر أو فخارة تتكسر ومن أمثلة ذلك: ما أكثر الأفكار التي تستغفل بعض العقول فتدفعها لتقتل أفكارها النضالية التي قاومت الهيمنة وطردت الأعداء من هذه الديار...، حيث يحاول أن يصور لنا واقع المقاومة التي تحاول الصمود رغم كثرة الألفاظ التي تحاول قتل الأفكار النضالية لردعها عن المقاومة وطرد الأعداء، ففي هذه الفقرة تكرر حرف القاف عدة مرات حيث جسد لنا كل معاني الحقد والكراهية التي مارسها الأعداء ضدنا، أما صفة المقاومة فتجسدت في الأفكار النضالية التي بقيت صامدة لردع الاحتلال، كما نجد أنا الروائي أكثر من استعمال حرف القاف في تكراره الدائم لـ: (قصيدتي، قصيدته، القصيدة، قصيدتك) والذي ذكرت في الرواية أكثر من مئة مرة وذلك لدلالة على المقاومة والثبات وتصوير الواقع المعاش.

من خلال هذا فإن مومني عيسى زاوج في روايته رائحة خبز الصباح بين حرفين مهموسين: أحدهما شديد ومهموس يتميز بالرقة والضعف واللين وهو حرف التاء والأخر توجد فيه قيمة تفخيمية يوصف أنه للمفاجأة والمقاومة والقساوة والشدة، ومن خلالهما استطاع أن يكشف لنا نفسيته المنهارة من الواقع المعاش.

كما أكثر في روايته من تكرار الأصوات الصفيرية المتمثلة في (ص، س، ز) ومن بين النماذج التي تكررت في الرواية حرف السين والصاد: في قوله: " أعجبه تساؤل الحائر وتفرده في طرح الأسئلة الحارقة، لماذا اتفاقية إيفيان لاستقلال بلاده توَّجت بنص واحد، وهو النص الفرنسي بينما أبرمت اتفاقية جنيف التي أنهت الاستعمار الفرنسي بفتنام بنصين، النص الفرنسي، والنص الفتنامي. ولماذا غاب الاختيار في اتفاقية بلادي

المشهورة التي حرر بموجبها الديبلوماسيون الأمريكان بثلاث لغات الإنجليزية، والفرنسية والفارسية، وغابت لغة القصيدة.

تكرر حرف "السين" عشرة مرات، منها مرتان في كلمة "تساؤل" واشتقاقاتها، ومرة في كلمة "استقلال" وأربع مرات في كلمة "فرنسي" ومرة في "الاستعمار" ومرة في "الديبلوماسيون" ومرة في "الفارسية" وحرف الصاد تكرر خمس مرات في كلمة "نص"

صور لنا الروائي في قصيدته احساسه بالضعف والحسرة والتعجب وذلك من خلال خروج الاستفهام من معناه الحقيقي الى معنى التعجب والحيرة وذلك بين في قوله: لماذا اتفاقية "إيفيان" لاستقلال بلاده توجت بنص...؟ بينما اتفاقية جنيف توجت بنصين ويقصد بها غياب لغة القصيدة أي اللغة العربية الأم، وظف هذا الحرف المهموس الرخو وهو للحركة والطلب، حيث أوحت كلماته كلماته بإحساس عاطفي لامس قلبه، والسبب الآخر الذي كثف من أجله حرف "السين" هو لطلب توظيف العربية في نصوص الاتفاقيات ومنه خلق موجة من الحركة لملامسة القضية الوطنية حيث كرر كلمة الفرنسية عدة مرات وكأنه يريد التخلص منها وهذا ما بينه من خلال إحساسه بالضعف والحسرة اتجاه هذا الأمر.

والشيء الذي نلاحظه أنه قد بالغ من استعمال حرف "السين" على حساب الحرفين الآخرين (ص، ز) ويعود السبب وراء ذلك أن صوت السين يمتاز بصفيره العالي عن باقي الأصوات الأخرى.

نجد أن الكاتب أيضا أكثر من تكرار حرف النون وذلك للدلالة على الكشف عن حالته المزرية وأيضا ربما حواره مع نفسه حيث يسمى صوت "النون" بالحرف النواح لكونه يرتبط بالبكاء، كما أنه صوت مجهور متوسط الشدة، لذلك يعتبر أصلح الأصوات للتعبير عن مشاعر الألم والخشوع.

وقد تكرر حرف النون بشكل مكثف في الرواية دالا على حالة الروائي النفسية والشعورية ومن أمثلة توظيفه ما قاله: "وموضوع السرقة يكشف عن نعت الآخر بأنه نموذج للإنسان المثقف، والمتنمر، وينعت "الأنا" المُغيّب بأنه شخص لا يجدي نفعا، إنه غير قابل للتعلُّم، فهو فوضوي، ومتمرَّد، ومتعصب، وإنَّ طاقته الشهوانية، والحيوانية تفوق بكثير، بل وتسيطر على طاقاته العقلية".

فصوت النون يوحي بموسيقى حزينة يغلب عليها طابع الألم والضعف والحسرة، فالكاتب على مدار هذه الكلمات يصف حال مدينته التي تعج بالسرقات الأدبية لما ينعت "الأنا" المغيب بأنه شخص شهواني حيواني لا يجدي نفعا، في حين ينعت الآخر بالإنسان المثقف والمتنمر فالكاتب يشكوا لنا الألم والحرقة لما يتعرض له فؤاده جراء السرقات، وهي معاني تفيض بها الرواية، ولعل هذا المعنى ما دفع لتسميته بالحرف النواح، ما هيأ للكاتب الاتيان به انسجاما مع دلالات هذا العمل الروائي.

2 – أنماط إيحاء الأصوات.

وظف الكاتب بعض الأنماط في قصيدته، منها التنغيم: ومن الأمثلة التي اشتملت على سمة التنغيم في الرواية ما نجده في قوله: "فكان المشهد كأنَّه مع الخط على الحلم، وكل الأحلام هكذا تولد..."، فكلمتا (الحلم، الأحلام) توحيان بجوي من التمني، فهذا التكرار وصف جو يسوده الطمع في حدوث شيء تمناه وهو نشر قصيدته، ومن خلاله أعطى النص تنغيما حزينا يوحي إلى كل ما تعنيه كلمة (حلم) من معاني ودلالات سواء كانت بعيدة أو قريبة.

كما وظف جرسا في روايته وذلك في قوله: "والأجنحة التي تحملني إلى حيث يريد قلبي وعقلي، وروحي، ووجداني، لا مكان لها وسط هذا الزّحام" فتكرار الكلمات (قلبي، عقلي

روحي، ووجداني) قد بعثت جرسا متدفقا ليؤسس حضورا واضحا في سياق النص وخصوصا حرف الياء الذي يعتبر أصلح الحرف للتعبير عن مشاعر الألم والحسرة.

إنّ للإيقاع أثرا سمعيا واضحا وقد وظفه الروائي عيسى مومني في روايته ويبدوا ذلك جليا في قوله: "لا مسافة بين جسد شاعر وشاعر، إنهما شيء واحد"، وأيضا في "لهذا لا أبالي حين جهل اسمها الجاهلون، أو ذهل عن نسبها الناظرون، طالما أنها تتسامى محلقة في الأفق لتحكي قصة وطن كسر الأغلال، وصنع الحياة. فتكرار اسم الفاعل في (شاعر، شاعر، والجاهلون، الناظرون) يدل على الحركة الدائمة، لأن اسم الفعل أيضا يسمى الفعل الدائم، لأن الحدث يدوم معه وذلك ما صوره لنا الروائي في كلماته ويقصد بها هنا دوام قصيدته في صنع الحياة، محدثا بذلك ايقاعا موسيقيا متحدا قويا تمثله الحالة الشعورية التي يقبع فيها، وهو ما أضفى على النص طابقا ايقاعيا منسجما.

3 – الجناس: يعتبر الجناس من أهم الوسائل الصوتية المؤثرة التي وظفها عيسى مومني في روايته، وذلك لاستقطاب المتلقي وإثارة حسه باعتباره يحقق موسيقى داخلية في النص، ومن أمثلته في الرواية نجد:

جناس تام يظهر في: "ولماذا انهزم الكل أمام عِلمِ الاجتماع الغربي" و "وصار اسم الله عَلَمُ على واجد الوجود". فالملاحظ يجد الجناس واقع بين بين كلمتي (علم، علم) وقد تماثل اللفظان في كونهما جناس تمام بين اسمين، فالخصيصة الأسلوبية وردت في مجيء الجناس بين اسمين ليمنحا التعبير شحنات أسلوبية واضحة تعدت حدود الإطار الموسيقي إلى إطار دلالي، مما منح النص سمة الإبداع والدهشة داخل نفسية المتلقي.

جناس غير تام (ناقص) يظهر في: "وأرسل طلبة العلم إلى الأندلس" و "حتة الرياضيات التي تتميز بطابعها العلمي" وقع الجناس بين كلمتي (العلم، العلمي) بنقص حرف في الكلمة الأولى، وهو نقص حرف الياء، وكذلك يقول: "قديما كانت القراءة

والكتابة" وهذا متصرف مالي، وذلك كاتب عام". فالجناس الناقص يتمثل في لفظتي (الكتابة، كاتب) فالأولى بمعنى التخطيط والثانية بمعنى عامل، على الرغم من اتحادهما في الجذر اللغوي إلا أنهما تختلفان من ناحية الدلالة التي وردت فيها.

ومن كل هذا فقد مثل المستوى الصوتي ملحما أسلوبيا أدى زيادة وتكثيفا في المعنى وجمالا في الأسلوب ومنح المتلقي آفاق رحبة في تخيل دلالة العبارة عبر خصائصه الصوتية.

ثانيا: المستوى الصرفي.

يضم التحليل الصرفي الصيغ الفعلية والاسمية، ومن خلال اطلاعنا على الرواية لاحظنا طُغيان كبير لصيغ الأفعال الماضية المجردة، المنتمية للأبنية الفعلية، والصفة المشبهة على وزن "فعْلان"، المنتمية للأبنية الإسمية، وفيما يلي توضيح لكل منها بغية اكتشاف دلالتها في النص.

1 – أبنية الأفعال:

باب الفعل الثلاثي المجرد الماضي			
فَعَلَ ← يَفْعُلُ	فَعَلَ ← يَفْعِلُ	فَعَلَ ← يَفْعَلُ	فَعِلَ ← يَفْعَلُ
ثبّت ← يَثْبُتُ	وجد ← يَجِدُ	قرأ ← تَقْرَأُ	سرِد ← يسردُ
قال ← يَقولُ	حمل ← يَحْمِلُ	رأى ← يَرَى	فرِح ← يفرَحُ
بدا ← يَبْدُو	وقف ← يَقِفُ	نال ← يَنَل	
جرَّ ← يَجُرُّ	حكى ← تَحْكِي	فعل ← يفْعَلُ	
رد ← يَرُدُ	سرد← يَسْرِدُ	فتح ← يَفْتَحُ	
دام ← يَدُومُ	غاب ← تَغِيبُ	سأل ← يَسْأَلُ	
ذكر ← يَذَكُرُ	خسر ← يَخْسِرُ	سمح ← يَسْمَحُ	

من الجدول يتبين أنَّ أبواب الفعل الماضي الثلاثي المجرد تباينت في الورود في الرواية كثيرا لكن باب (فَعَلَ ← يَفْعُلُ) و (فَعَلَ ← يَفْعِلُ) كانت لهما الصدارة فقد وظفهما الكاتب كثيرا في روايته، ولعل مرد هذا التفاوت يرجع إلى أن هذان المثلان، جاريان على السواء في الغلبة والكثرة.

وفيما يلي تبيان لبعض الدلالات التي يجيء عليها كل من بابي: فعل ← يَفْعُلُ وفعل ← يَفْعِلَ.

أ – فَعَلَ ← يَفْعُلُ: ومن المعاني التي يأتي عليها هذا الباب "الاستقرار والإقامة" من مثل قول الكاتب: "في زاوية جانبية من غرفة البيت المطلة على الحديقة حيث الهواء النقي والرؤية الواضحة، ثبت الشاعر عمر كرسيه أمام شاشة الكمبيوتر"، ففي الفقرة دلالة على الكاتب ثبت في مكانه لا يتحرك حيث الهواء النقي والرؤية الواضحة فأقام فيه واستقر.

ومن المعاني التي يأتي عليها كذلك "التلفظ والكلام"، وتمثيل ذلك في قوله: "ولو قال هذا في العلن لرأى أكثر من رأس يهتز، علامة موافقة ما قيل".

فالكاتب في هذه الفقرة يحاول أن يقول ويوصل صوته لجميع الناس بأنه على صواب ولا يوجد شك في كلامه.

ب – فَعَلَ ← يَفْعِلُ: من المعاني التي عليها هذا الوزن "القيام والثبوت" وذلك بين في قول الكاتب: "وها هو اليوم، يقف وجلا أمام ما يطالع من أخبار تؤكد نهاية أطروحة الورق. ففعل "يقف" في هذا البيت يدل على أن الكاتب يقف ثابتا بدون حيلة أمام انتهاء عصر الورق وبدأ عصر الرقمنة.

ومن العاني أيضا التي جاء عليها هذا الباب معنى "الحضور" ومثال ذلك قوله: "عبقرية المكان لا تغيب عن فكره، لهذا فهو لا يريد أن يخسر تلك اللغة التي كتبت بها الإلياذة".

فقد دل فعل لا تغيب عن الحضور الدائم ويقصد به الكاتب كل ما دون من كلام بلغته فهو لا ينساه ولا يغيب عن ذهنه.

2 – أبنية الأسماء:

استعمل الكاتب أوزان الأسماء في روايته بشكل منتظم، والجول الآتي يبين بعض أوزان المشتقات التي اشتملت عليها الرواية:

اسم الفاعل	اسم المفعول	اسم التفضيل	صيغ المبالغة	الصفة المشبهة
شاعر – قاتل	متنوّر	أحسن	بديع	أبيض
مانع	مكرر	أكبر	صقيع	أحمر
سامع	مفتوح	أكثر		أشقر
نائم	مذبوح	أطول		أسود
قارئ	مولود	أعجب		أخضر
ناظم	مشدود	أجمل		أصفر
حافز	محافظا	أبشع		طويل
عائد	معاصر	أفضل		كبيرة
سائرا	منطلق	أقل		
طالبا	مجنون			
مانع				
صاعد				
واجد				
قائما				

من خلال استقرائنا للجدول، يتبين أن الشاعر استعمل المشتقات بنسب متفاوتة، وإن كان بعضها طغى على الآخر، ومن ذلك اسم التفضيل على وزن أَفْعَلَ وذلك للدلالة على شدة الألم والقهر الذي يحس بها الكاتب فقد ورد اسم التفضيل بشكل متفاوت في الرواية، أما الصفة المشبهة التي على وزن أَفْعَلَ، وفَعِيْلٌ، وردت بنسبة كبيرة أيضا فمن خلالها الكاتب يصف لنا أحوال بيئته، كما أكثر من استعمال اسم الفاعل وذلك للدلالة على من قام بالفعل أو وقع منه الفعل، أم اسم المفعول فقد وظفه بنسبة ضئيلة جدا في روايته كونه ركز على الفاعل أكثر، بينما صفة المبالغة فتكاد تنعدم في روايته وفيما يأتي أمثلة لبعض الصيغ في روايته.

1 – اسم التفضيل: ورد في الرواية في عدة مواضع منها في قوله: "فما أكثر العبر وما أقل من يعتبر" وأيضا في "كرمه الله أحسن تكريما".

فاسم التفضيل هو وصف مشتق من المصدر على وزن: أَفْعَلَ، والكاتب في هذين الفقرتين يبين لنا أن الله كرم الانسان على سواه، وغم كثرة العبر، فنجد القليل فقد الذي يعتبر بها ويعمل بها.

2 – الصفة المشبهة: وهي ما اشتق من فعل لازم، لمن قام به على معنى الثبوت ويقصد به الاستمرار واللزوم، وقد وظفها الكاتب بكثرة في قصيدته على صيغة "أَفْعَلَ وفَعِيْلٌ" للدلالة الصفة، ويظهر ذلك في قوله: "ترسم له مثلثا أحمر في إطار أسود بداخله، علامة للخطر". وأيضا "اسمك على اسم جوهر أبيض، والبياض يشترك فيه السكر والملح".

من خلال هذين المثلين فالكاتب هنا يحاول أن يصور لنا خطورة ما تمر به مدينته وأهلها من خلال ذكره للألوان فاللون الأسود والأحمر رمز للخطورة، كذلك ذكر اللون الأبيض وهو رمز السلام.

3 – اسم الفاعل: ورد اسم الفاعل في الرواية في عدة مواضع، ومنها في قوله: "يتبادلون القبلات الحارة بينهم في فضاء مفتوح، لا تحده سوى السماء العالية".

وأيضا في: "جلس الشاعر عمر كطائر مذبوح بخجله متمنيا أن يوفي هذا الرجل بوعده".

فاسم الفاعل "مفتوح" مشتق من الفعل الثلاثي المجرد فَتَحَ الذي يدل على كبر وشاسعة المكان، لأن الكاتب من شدة فرحه بإلقاء قصيدته ذكر المكان وأنه فضاء مفتوح ويقصد به كبير وشاسع. وجاء أيضا في المثال الثاني اسم الفاعل "مذبوح" مشتق من ذبح للدلالة على الخجل فالكاتب ذكر عمر وكأنه يختنق من خجله من عدم وفاء الرجل بوعده.

ثالثا: المستوى النحوي.

يبحث المستوى النحوي في تركيب الجمل واعرابها، وفي وظائفها النحوية المتمثلة في دلالة الجمل والأساليب الخبرية والإنشائية. والناظر إلى رواية "رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزَّوايا" يلاحظ تنوعا كبيرا في استعمال الجمل من حيث الاسم والفعل، وذلك راجع إلى طبيعة الكلام، وإن كان بعضها طغى على الآخر، فقد استعمل الكاتب الجمل الفعلية بكثرة، وهي تدل على التجدد والاستمرار، بينما قل استعمال الجمل الاسمية قياسا بنظيرتها الفعلية، وهي تدل على الثبوت، ولعل مرد ذلك يعود إلى الحالة الحركية والاضطرارية التي يعيشها فهو في جهاد بين الحزن والالم وبين التذكر والحسرة من جهة أخرى.

والجمل في اللغة تنقسم إلى أنماط وأنواع، فمنها الجمل النحوية ذات الأساليب الخبرية والجمل النحوية ذات الأساليب الإنشائية، وفيما يلي تمثيل لبعض منها:

1 – الجمل النحوية ذات الأساليب الخبرية. ومنها:

أ– التوكيد: ومن الجمل الواردة في القصيدة بأسلوب التوكيد ما يلي:

الجمل المُـــــــؤَكَّدة	أداة التأكيد
– كأنَّه ينتظر خبرا من السماء	أنَّ
– بأنَّ التطور أمر لا مناص منه	أنَّ
– كما أنَّ التغيير سنة الكون	أنَّ
– على الرغم من أنَّ قصيدتي ليست مجهولة العنوان	أنَ
– طبعا إنَّه محمد	إنَّ
– إنِّي أعجب يا أحمد	إنَّ
– إنَّما البيع مِثْلُ الرِبَا	إنَّ
– إنَّ ما في الجبّة إلا الشعر	إنَّ
– إنَّ هذه رسالة إلى ما وراء البحر	إنَّ
– يؤكد أنّه عندما ينتشر الظلام، لا يجد الضعيف ملجأ	أنَّ
– إنَّ الجلوس في الطابور لا يوصل إلى هدف	إنَّ
– يعتقد تمام الاعتقاد أنَّ الوفاء عمله نادر	أنَّ
– إنَّ الله عَلَمَ الأعلام	إنَّ
– إنَّه لا يقوم بالعمل لأجل العمل	إنَّ
– لأول مرة يشعر أنَّ رغبته تغيب	أنَّ
– تعلمت أنَّ الإرهاب الذي أتحرك بداخله إنَّما هو جلدي	أنَّ + إنَّ
– تؤكد أنَّ الشاعر نسيج فريد من نوعه	أنَّ

– فإنَّ يظفر به فترا	إنَّ
– أنَّها أشبه بمذكرات أبي الهول	أنَّ
– إنَّه يناطح صخرة التاريخ	إنَّ

من الجدول يتضح أنَّ الكاتب لم يستخدم التوكيد اللفظي ولا المعنوي، وإنما استعمل التوكيد بالأدوات المشبهة بالفعل "أنَّ، إنَّ" واستعمالهما زاد من إظهار وتأكيد وتقرير حقيقة إحساس الكاتب تجاه ما يشعر به.

2 – الأساليب النحوية ذات الجمل الإنشائية. ومنها:

أ – النداء: ومن أساليب النداء المستعملة في الرواية نجد.

جمل النـــــداء	أداة النداء
– يا غلام	يا
– يا أصدقاء	يا
– يا معشر الطلاب هذا عهدكم	يا
– يا معشر القراء يا ملح البلد	يا
– اسمع يا أحمد	يا
– انتبه يا خالد	يا
– أيها الشعب الجزائري	أيها
– يا سمك السلمون إنك تحترف الغرق	يا

من الجمل السابقة يتبين أنَّ الكاتب استعمل النداء بحرف "يا"، وهي تُستعمل لنداء القريب والبعيد.

ب – الأمـــــــــر: وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وقد وظف الكاتب هذا الأسلوب في روايته وهي كالآتي:

جمل الأمـــــر	فعل الأمر
– انظر إلى مواكب الفراغات التي تملأ الصحف كل يوم	انظر
– فاسعوا لكسب المجد سعي عظام	اسعوا
– تعلموا فصحى اللغات فإنها علوية الأسرار والأنغام	تعلموا
– فادفع وهمك بعقلك	ادفع
– كتب على الباب "ادفع"	ادفع
– اعقلوا إن العولمة هي التي صنعت هذا الميكروفون	اعقلوا
– اسمع يا أحمد	اسمع
– انتبه يا خالد	انتبه

من خلال الجدول يتبين أن كل الأمثلة تشتمل على أسلوب "أمر" والأمر نوعان حقيقي وغير حقيقي وأغراض الأمر مختلفة تخرج إلى عدة معاني مثلا قوله:

– فادفع وهمك بعقلك.

– تعلموا فصحى اللغات فإنها علوية الأسرار والأنغام.

فهنا أمر غير حقيقي ويدل على النصح والتوجيه.

وأيضا في: – اسمع يا أحمد.

– انتبه يا خالد.

فالمأمور هنا يباح له فعل ما أمر به كما يباح له تركه، وهذا هو الإباحة.

ج – الاستفهام: وهو طلب معرفة حقيقة شيء، لم يكن معلوما من قبل عند المستفهم ويؤشر له بمؤشرات معجمية تتصدر الجملة الاستفهامية، أو بالتنغيم فقد. وقد طغى هذا الأسلوب على غيره من الأساليب النحوية ذات الجملة الإنشائية، ومن الجمل المستعملة في الرواية نجد:

جمل الاستفهام	أداة الاستفهام
– لماذا نسي الناس طبيعيات ابن سينا...؟	لماذا
– ما الأمر الذي يجنبنا استمرار التقهقر؟	ما
– ماذا خسرت أمتي بنهاية القصيدة؟	ماذا
– لماذا يطلب منها في زمن الشعر التنازل عن القصيدة؟	لماذا
– لماذا قلعة الشعر أبوابها موصدة، والحراس أمام الباب؟	لماذا
– ما هذا الكلام؟	ما
فمع من الغرب أيها الأصدقاء؟	من
أين الدليل على أن عدم نشر قصيدتك هو موقف...؟	أين
– أين هو الخطأ إذا كان الاستفهام يناسب الحال؟	أين
– ماذا تكون؟	ماذا
– نائم لا ندري متى يستيقظ، كما يقول الكواكبي؟	متى
– لماذا أكتب طوال الوقت؟	لماذا
– لماذا يحترف معي الصمت؟	لماذا
لماذا يرفض قصيدتي؟	لماذا
– لماذا يتركها للقراء يصدرون حكما حولها؟	لماذا
– كيف يمكن للواجب أن يكون بلا قلب إلى هذا الحد؟	كيف
– كيف يمكن للمجنون أن ينسى ليلاه؟	كيف
– ماذا لو نتعلم صناعة الحياة بلا إهانات أو شماته؟	ماذا
– هل ذاقت هذه البلدان بأهلها؟	هل
– من يفهم عاميتهم هذه بعد مئة عام؟	من
– وإلى أين منتهاها؟	أين
– فلم الخوف؟ ولم الهلع؟	لم
– ماذا تنتج؟، وبماذا تتبادل؟	ماذا

من خلال الجدول يتبين أن أسلوب الاستفهام قد طغى بشكل كبير في الرواية وذلك راجع إلى أن الكاتب طالب للفهم والاستخبار وقد عدد ونوع في أدوات الاستفهام وفي قول الكاتب: – لماذا نسي الناس طبيعيات ابن سينا؟

– لماذا قلعة الشعر أبوابها موصدة، والحراس أمام الباب؟

فجاء الاستفهام هنا بصيغة "لماذا" وهي من احدى الوسائل التي نستخدمها للسؤال عن السبب والعلة، فالكاتب هنا من خلال استفهامه متعجب وفي حالة حيرة.

كذلك نجدة وظف أداة الاستفهام "من" وهي للاستفسار عن الفاعل العاقل ومثال ذلك:

– من يفهم عاميتهم هذه بعد مئة عام؟ فالكاتب هنا يحاول أن ينبهنا إلى ضرورة الفصحى.

رابعا: المستوى الدلالي.

المستوى الدلالي يدرس دلالة اللفظة في سياقاتها المختلفة، وقد تتكرر اللفظة في السياق لتخرج إلى عدة معانٍ، وقد استوقفتنا هذه الظاهرة في الرواية، ومن ذلك الترادف، التكرار والتعدد اللفظي، ومن ذلك:

1 – الترادف: هو دلالة عدد الكلمات المختلفة على معنى واحد، فالكاتب في روايته قد عدد في دلالة الكلمات ومن ذلك ما يأتي:

- التطور: التقدم، التغيير
- صراعات: اضطرابات، ثورة
- نالت: كسبت
- يقول: يذكر، يحكي، يروى، تكلم.
- تقرحات: وجع

- المتخاصمين: المتعارضين
- الحكمة: المنطق
- ذعر: خوف، رعب، يخشى
- احتلال: استعمار
- الانقطاع: الخلوة
- يقلدها: يزورها
- الشعور: الحس
- يشتغل: يعمل
- أبان: أفضح، يشرح

إنَّ كثرة وجود الألفاظ المترادفة في الرواية، راجع إلى أنَّ الكاتب حاول إثراء المعجم اللغوي العربي في روايته بهذا الكم الهائل من المترادفات ألفاظا وجمالا، وتعبيرات.

2 – التضاد: هو استعمال اللفظ الواحد للدلالة على الشيء وضده، أي النقيض والمقابل، وفي الرواية أمثلة كثيرة منها:

الدلالة	ضدها (نقيضها)
تولد	تموت
صعودا	هبوطا
أجمل	أبشع
التقدم	التخلف
أبيض	أسود
الليل	النهار
النور	الظلام
الموت	الحياة

أجمل	أبشع
الواقع	افتراضي
مفتوح	مغلق
الأرض	السماء
عاقل	لا عاقل
نالت	خسر
صغار	كبار
شرق	غرب
قوة	ضعف
مستعجلة	متأنية
الفقر	الغنى
يكره	يحب
القديم	الجديد

وظف الكاتب الدلالة ونقيضها، أي مقابلها ونجدها بكثرة في روايتها ولعل مرجع ذلك إلى وضوح المعاني وبيانها، لأن استحضار أحدها في الذهن يستبعد عادة استحضار الآخر، ولاسيما بين الألوان، فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد، والتحدث عن الموت يذكرنا بالحياة، فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني.

المرجعيات الفكرية في رواية "رائحة خبز الصباح حفرٌ في خفايا الزوايا"

تمهيد:

يعتمد الروائي في الكثير من الأحيان غلى تضمين نصه الروائي بالكثير من المرجعيات التي تعمل على خدمة البنية السردية وتحمل في الآن ذاته دلالة تعبيرية وأسلوبية وارتقاء بالنص السردي إلى مستوى الطموح المشروع الذي من اجله عمد إلى صوغ محكيه.

يمثل المرجع ((أي شيء، أو مجموعة من الأشياء الموجودة في العالم الخارجي التي ترجع العلامة إليها))[1] فالمرجعية استنادا الى هذا المفهوم تمثل ((العلاقة بين العلامة اللسانية والمرجع، أو الشيء الخارجي))[2].

فهي عبارة عن تشكيلات واستعارات تراثية قابلة للاستعادة في كل زمان ومكان، بمعنى ان ثمة توظيفا لنصوص لها أثر ومساس بالحياة الفكرية والاجتماعية والدينية، ومن مختلف صورها وأشكالها، إذ إن التراث هو مادة الإنسان التي تمارس حضورها بكثافة في فلسفته الوجودية، اذ انه يظل (إنتاجا وليدا حقب متواصلة ومتعاقبة من التطور. وهو في صيرورته هاته يعكس سياقات خاصة تفاعل معها الإنسان العربي بأشكال متعددة ومتفاوتة، ويفترض هذا أن نتعامل معه في ضوء تلك الصيرورات، وما تمثله من امتداد أو انقطاع أي أن ننظر إليه باعتباره كلا متكاملا حددت قسماته شروط خاص، وعوامل معينة)[3]، ومن أبرز المرجعيات التي تم تضمينها في الرواية:

المرجعية الدينية:

وتستقي اصولها ومادتها الخام من كل نص ديني مقدس كالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والانجيل والتوراة والأدعية والاذكار وغيرها مما يشكل عماد الدين لدى الانسان، فالمرجعية الدينية هي (كل ما يدخل في إطار الدين... وما يتبعها من الأنساق

[1] – حنون مبارك " دروس في السيميائيات " دار قويقال للنشر ، عمارة معهد التسيير التطبيقي، دار البيضاء 05، المغرب، ط1، 1987، ص92

[2] – أحمد مختار عمر "علم الدلالة" عالم الكتب للنشر القاهرة مصر، ط5 ص17

[3] – سعيد يقطين السرد العربي–مفاهيم وتجيات ، الدار العربية للعلوم ناشرون ط 1 2012، ص 37– 38

الفكرية بما يعالج الروح الانسانية، ويوثق صلتها بربها ، وارتباطها بمعايير العقيدة)[4] ويأتي توظيف هذه المرجعية بصورة واشكال عدة منها: النص القرآني حيث نجد ذلك في رواية "رائحة خبز الصباح" حيث استدل الكاتب بالعديد من آيات القرآن الكريم في قوله: " **وَفِي الأَرْض آيَاتٌ للمُوقنينَ. وفي أَنْفُسكُم أَفَلا تُبْصرُون**"[5](الذاريات:20-21)، وفي قوله: مثل ما قيل عن المعاندين أنهم قالوا: **((لَنْ نُومنَ لَكَ حَتَى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً))** (البقرة55)، **(إِنَّمَا البَيْعُ مثْلَ الربَا)** (البقرة275)، **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)** (الحجرات 13).

وقد يأتي توظيف الآيات القرآنية معنى فقط كما في قول الكاتب: ولم يعد يدري هل قومه أنهم هنا أم هم "**أوهن من بيت العنكبوت**"[6]؟ مستمدا من قوله تعالى: **(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ)**. وكذلك في قوله: فسبحان **من قدّر فهدى!** اشارة الى قوله تعالى من سورة الاعلى الآية 3 **(وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى)**، بالإضافة الى استعماله الفاظ أخرى في الرواية مثل قوله: وهي أحوال الطير في نظام حركاتها "**صافات**" و "**يقبضن**"[7] من سورة الملك والتي يعني بها باسطاتٍ أجنحتهنّ في الجوّ عند الطيران ويَضْمُمْنَها إذا ضربنَ بها جُنوبهنّ.

وظف الروائي الكثير من التعابير، والتراكيب القرآنية، التي أصبحت بمثابة المعجم اللغوي الذي استند عليه، كذخيرة في عملية الكتابة، اضافة إلى إشارة هذه التعابير

---

[4] – جمعة يوسف حسين الجبوري " المضامين التراثية في الشعر الأندلسي "، دار الرضوان للنشر والتوزيع ط1.ص39.

[5] – الرواية ص37. 52، 72 ،119 على التوالي

[6] – الرواية ص 41

[7] الرواية191.

والألفاظ إلى معاني الآيات التي وردت فيه، دون أن يكون التوظيف معتمدا على الاقتباس الحرفي، بل هناك تحاور بين معاني الآيات في نصوصها الغائبة، وبين نص الرواية، الذي يختلف في صياغته ومعانيه عن سياقات ومعاني الآيات.

كما نجد ايضا الأحاديث النبوية الشريفة الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً، يقول الراوي: (يؤكد أنه عندما ينتشر الظلم، ولا يجد الضعيف ملجأ يحتمي به يطل على الناس مأوى يشتكون إليه قلّة حيلتهم، شبيه بحلف "الفضول" الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية "**لو دعيت إليه لأجبت**").[8]

وفي قوله أيضا:(فهو متأكد من أن "العلم قطرة كثّرها الجهال" كما جاء في حديث الأوائل. لهذا قال صلى الله عليه وسلم لذلك الرجل الذي قال له "**أنا والله ما أُحسنُ دَندنتكَ، ولا دندنَة معاذ، ولكن أرجو الجنة**. فقال عليه الصلاة واللام مجاراة له" **حولها نُدَندن**" ولم يقل له: **وهل عبادة الله دندنة أيها الرجل**. يكفي حسن الظن بالله، وبعده قد تكون صغائر الأعمال سببا في الظفر بالدرجة العليا).[9]

وقد وُظفت الأحاديث النبوية أيضا معنًا فقط كما في قوله: (هكذا، قرأ الشاعر عمر، في دور العلم، وهذا ما ضبطته قاعدة الدرس بأن المعرفة الحقة لا تستظل أبدا بأوفياء الصدفة، ولا تأبى غير الاختصاص، لذلك قيل" **من قضى في الدين برأيه فهو مخطئ ولو أصاب**".[10]

فللأحاديث النبوية الشريفة – على قلتها– قد جاءت في سياق تأويلي خاص، مركزا على أخذ العظة والنصح والارشاد، لاسيما وأنها إشارات دلالية تشتغل اشتغالا مركزا ومكثفا ودالا.

[8] –الرواية ص78

[9] –الرواية 82

[10] – الرواية 63

المرجعية التاريخية:

إن من أهم مقومات النص الروائي أن يكون قابلا للتجدد والاستمرار والتواصل عبر القرون، ولا يتم هذا إلا إذا كان الماضي هو تاريخ الأمة وذاكرتها المتوارثة عبر الأجيال، مع الاحتفاظ بخصوصية اللغة التي تستخدم في كلا النصين / الروائي والتاريخي ((بما أن النص مساحة خصوصية للواقع والتاريخ، فانه يمنع من المطابقة بين اللغة كنسق لتوصيل المعنى وبين التاريخ ككل خطي مستقيم ...)) [11].

إن الرواية تشتغل في منطقة خصبة تتلاقح فيها المقومات التاريخية بالخيالية، وتصبح هناك مسافة فاصلة بين التاريخ والخيال من جهة، وبين الأحداث التي يسردها الراوي ويجعلها محك الرواية وهدفها وبين الأحداث التاريخية الموظفة فيها والمكملة لها من جهة أخرى، وبينهما راسب يجسد الفرق بين الاثنين: التاريخ والرواية/ فمما لا شك فيه ((أن المؤرخ والروائي يلتقيان معا في إخضاع العالم للوعي بتمعّن (من المعنى) الوجود إذ يهتم المؤرخ عادة بالشعوب والثقافات والذهنيات في حين ينصرف اهتمام الروائي إلى الأفراد)) [12].

ويبقى عامل الزمن من أهم العوامل التي تتجسد في النصين: التاريخي والروائي، بل انه يكشف عن معطيات تاريخية داخل الحدث الروائي، ويبقى السؤال المثير للجدل وبحاجة إلى النقاش والتعمق فيه هو ((هل يتضمن الحدث الروائي بالضرورة التاريخ بمدلول الأزمنة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل؟ وهل الرجوع إلى الماضي يعني الاقتدار حقا على إحيائه أم هو الحاضر يتخذ له عديد الأشكال، بما في ذلك صورة الماضي المستوحى والدال عليه؟)). [13]

---

[11] – علم النص ص11

[12]– مصطفى الكيلاني، الرواية والتأويل – سردية المعنى في الرواية العربية،دار أزمة للنشر والتوزيع ط1،2009 ص17

[13] –الرواية والتأويل – سردية المعنى في الرواية العربية 17.

وتتحدد الإجابة على هذا السؤال بمدى إدراكنا لأهمية الزمن في النص الروائي، فالحدث الروائي لا يتحقق إلا من خلال نتاج تفاعل بين الأزمنة الثلاثة، واستقدام الماضي من عمقه ضرورة ملحة قد لا يأتي للمستقبل الذي يشكل في المنظور الروائي تنبؤا لحدث قد يصادق عليه الفعل الروائي وقد يتجاهله.

والذاكرة هنا هي المعنية بالرضوخ إلى الماضي طالما أن الذاكرة هي التي تحفظ التاريخ وتسرده وتنسجه على غرار الحوار المسرود، ذلك أن الدلالات التاريخية ((ترتبط بذاكرة الإنسان وحصيلته المعرفية المكتسبة بل بتأريخه الذي هو ذاكرة هذه الحصيلة المتراكمة لأجيال تتوالى. ثم تنفصل هذه الإيحاءات الأخيرة عن الوجود وجعله مستأنسا))[14].

إن استحضار التاريخ في " رائحة خبز الصباح " يقوم على مستويين: (مستوى المراحل الزمنية، ومستوى الشخصيات والأحداث)، فعلى مستوى المراحل الزمنية نجده يتعامل مع مرحلة الاحتلال الفرنسي، أما المستوى الثاني في تعامل مع الأحداث والشخصيات ن لذلك نجد الرواية تزخر بكم هائل من الأحداث التاريخية تظافرت وتداخلت لتحرك المتن الروائي وتنسج خيوطه.

أ -**استدعاء الأحداث التاريخية**:

في سياق الرواية تظهر الكثير من الأحداث التاريخية لاسيما تلك التي تتعلق بتاريخ الجزائر والثورة والتي مثلها عيسى مومني عبر منظوره الروائي، ومن هذه الأحداث:

-تنافس شديد بين " تغمراسن" وجواره من بني عمومته، يليه حصار شديد على تلمسان دام ثمانية أعوام وثلاثة أشهر

- سقوط غرناطة سنة 1492، بحجة استياء الإسبان من لجوء ملك غرناطة "أبي عبد الله" وعدد من أعيان الأندلس الى وهران، وترحيب السلطان الزياني "محمد الثاني " بهم.

-معركة مرمورة في 28ماي 1958.التي أطاحت ب"جان بيار" العقيد الفرنسي الذي أشرف على عملية التمشيط.

[14] – رضوى عاشور "صيادو الذاكرة " المركز القافي العربي 2014ط1، ص32

-مؤتمر "فينا"1815م، و "إكس لا شبيل" 1818م.

-معركة "نفارين" 1827م.

-المجاعة التي ضرب الجزائر (1867-1869).

- بيان أول نوفمبر 1954.

-معركة ساقية سيدي يوسف وحرب العرب مع إسرائيل سنة 1973م.

-سقوط الخلافة العثمانية سنة 1924م وكان من ثمار هذا السقوط اتفاقية "سايكس بيكو" سنة 1916 بين ثلاث دول انجلترا، فرنسا، روسيا، لكن روسيا انسحبت بعد أن انتصرت الثورة البلشفية على الحكم القيصري سنة 1917م.

- ثورة التحرير 1954.

- جمعية علماء المسلمين التي ابصرت النور في الخامس ماي 1931.

-اصلاحات 4 فيفري 1919.

-إن هذه الأحداث التي تم ذكرها ماهي إلا أمثلة عن بعض الوقائع التاريخية المدونة في كتب التاريخ، والتي اتكأت عليها الرواية في بناء أحداثها، لأن الرواية تزخر بكم هائل من الأحداث التي نسجل لها حضورا تاريخيا.

ب- <u>الشخصيات التاريخية</u>:

مثلما استحضر الروائي مجموعة من الأحداث التاريخية التي أسهمت في بناء الرواية وتصعيد أحداثها قدّم شخصيات نلمس لها حضوره التاريخي ومن بين هذه الشخصيات: حمدان خوجة، الدوق دوريفيكو/ مالك بن نبي المفكر الجزائري، الكاردينال" لافيجري" الشيخ محمد البشير الابراهيمي/ "أبولوس " الجزائري/ الداي العربي التبسي/ الشهيد العربي بن مهيدي/ الأمير خالد/ الامير عبد القادر / عبد الحميد بن باديس.

<u>ج-المذكرات أو الشهادات</u>:

وهي عبارة عن أحاديث الآخرين ممن التقى بهم الروائي وكشفوا له عن ملابسات هذه القضية وكيف كان الوضع آنذاك متأزما والروائي يصرح بذلك بقوله:

أبوه يعرف معنى تدمير البيوت، ومعنى القصف... كان يكث الحديث عن عمليات الإنزال والمداهمات والتفتيش والاستعراض، وخطب الدعاية الإعلامية المكذوبة ضد ثورة المجاهدين في الارياف والمدن من قبل الجنود الفرنسيين، إبّان الاحتلال، وهم يطوفون على القرى والمداشر ينهالون على الناس بالضرب والشتم ...[15].

هذا ما يرويه الأب لابنه الشاعر عمر. أما ما يدونه التاريخ، فهو ما شهد به المؤرخ الفرنسي الشيوعي "جاك جوركي "عن وجود رفات للمقاومين الجزائريين بالمتحف التاريخي لباريس منذ 1849م، لقد كانوا يقطعون رؤوس الجزائريين، ويرسلونها إلى فرنسا لتوضع في متاحف كأنها مجرد أشياء.[16]

يقول الأب للشاعر عمر: إن الذين جاءوا إلى ديارنا هذه، يستحيل أن نعيش معهم فهم لا يقبلون حتى أن يوافق يوم السوق عندنا يوم عطلتهم. ويحكي له ما حدث لهم حين منعوهم من دخول السوق في قريتهم، الذي صادف يوم الأحد، وحولوه إلى يوم الثلاثاء بدعوى أن الأهالي يكدّرون على المعمرين يوم عطلتهم ...[17]

تأتي هذه المذكرات والشهادات في سياق روائي لا يمكن التعامل معها بعيدا عن الأحداث الروائية التي وظفتها وأثرها في الشخصيات الروائية فهذه المذكرات ((التي تم عرضها إلى الآن مع من تخللها من حفر واستنطاق تتعلق بأحداث كان لها بدون شك دور هام في تكوين شخصية صاحبنا، سواء على صعيد الوعي أو على صعيد اللاوعي))[18] فهي صورة حية لأناس عاصروا هذه الأحداث وعانوا منها ما عانوا.

---

[15] –الرواية ص84.

[16] –الرواية 85.

[17] – الرواية 87.

[18] – محمد عابد الجابري "حفريات في الذاكرة من بعيد " مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان 2001، ط1/ص71

المرجعية الأدبية:

من المرجعيات المهمة التي لا يستغني عنها أي روائي كان، تأتي بصور وأشكال متعددة، تختلف باختلاف الجنس الأدبي الذي تنضوي تحته، ويشكل موروثا متداولا فعلاقة النص الروائي– بوصفه نصا إبداعيا حاضر –بالموروث– بوصفه نصا إبداعيا مستعاد من مخزونه الثقافي– ((هي علاقة الاستخدام الفردي المبدع للغة، بأصول هذه اللغة وأوضاعها الجماعية))[19].

إن توظيف الراوي لنصوص أدبية – على مختلف أشكالها وأجناسها– إنما يسعى إلى ((الدمج بين الحاضر والماضي وخلق حالة من الابهام))[20]

رواية " رائحة خبز الصباح" تتحرك في أجواء أدبية مختلفة الأشكال، وتتعامل معها على وفق خطاطة سردية تنتج عن تلاقح النص الروائي مع المرجعية المستعادة، ومنها:

1.الأشعار: كما قال زار القباني:

لذلك كان يقرأ حتى لا تجفف الأبجدية من ذاكرته، ويقرأ وكأنه يسابق موسم تجفيف الشعر والكتابة، ويقرأ وعينه على تعرجات الماضي، فهو كما قال نزار القباني:

ورأيت منزلنا القديمَ... وحجرةً

كانت به أمّي تمدُّ وسادي

والياسمينةَ، رُضّعتْ بنجومها

والبركةَ الذهبيّةَ الإنشاد..[21]

وأيضا قصائد محمد العيد آل خليفة لأبناء المدارس ما يحثه على السعي إلى كسب المجد:

---

[19] –كمال أبو ديب" في الشعرية" مؤسسة الأبحاث العربية للنشر، ط1،1987ص 38

[20] –ثامر فاضل " الصوت الاخر –الجوهر الحواري للخطاب الأدبي " دار الشؤون الثقافية العامة 1992، ط1، ص98.

[21] –الرواية، ص60

يا معشر الطلاب هذا عهدكم

فاسعوا لكسب المجد سعي عظام

إني أرى فيكم مخايل فطنة

كالبرق يومض من خلال غمام

وتعلموا فصحى اللغات فإنها

علوية الأسرار والأنغام[22]

كما نجدها أيضا في قول الكاتب "وندم العقاد في أواخر حياته عن اصطفافه م الذين حاولوا أن لا يتركوا شيئا جميلا في شعر شوقي. وكان أبلغ في التعبير عن تناقض الحياة بشعر جميل"[23].

ويشقى المرء منهزما/ ولا يرتاح منتصرا.

ويبغي المجد في لهف/ فإن يظفر به فترا.

صغير يطلب الكبرا/ وشيخ ودّ لو صغرا.

وخال يشتهي عملا/ وذو عمل به ضجرا.

ورب المال في تعب/ وفي تعب من افتقرا.

ويختم الكاتب قصيدته بأبيات من قصيدة "المستقبل" للشاعر الأمريكي "بيلي كولنز" حيث يقول: ووقتها يردد الناس مع الشّاعر الأمريكي " بيلي كولنز" من قصيدته «المستقبل" ترجمة "حمد العيسي" في كتابه "نهاية الرواية وبدية السيرة الذاتية".

عندها سأفرش على طاولة خريطة ضخمة لعالمي

وأشرح للناس في "المستقبل"

في ملابسهم الشاحبة: كيف كانت...؟

كيف بزغت الجبال بين الأودية؟

---

[22] – الرواية ص64

[23] – الرواية ص128

وسمينا هذا "جغرافيا"

وكيف جرت بجنون القوارب المحملة بالبضائع في الأنهار؟

وسمينا هذه "تجارة"

وكيف قفز الناس من هذه المنطقة الوردية

إلى تلك المنطقة الخضراء

أشعلوا النيران وقتلوا كل من وجدوه

وسمينا هذا "تاريخ"[24]

2. **الأمثال:** وهي متداولة وشائعة على ألسن العامة والخاصة، ومنها:

((أنا الزراع وانت الرزاق يا رب))، ((أن ما في الجبّة الا الشعر))، ((أحفر البير واردمها ثم أحفر، واردم وادفع أجر لكل من يعمل فيها))، ((من كان مستنا فليستن بمن مات'فإن الحي لا يؤتمن عليه))، ((طعام زيد سم لعمروا))، ((أنطق عن الهوى))، ((العلم قطرة كثرّها الجهال))، ((الناس كإبل مائة لا تجر فيها راحلة))، ((من قال لا أعلم فقد أفتى))، ((العجز عن الإدراك إدراك)).[25]

إن وجود هذا الكم الهائل من المرجعية الأدبية إنما يكشف عن ثقافة الروائي وسعة اطلاعه على الموروث الأدبي الذي يحتم منه التسلح بكل الإمكانيات القرائية التي تغنيه وتوسع مداركه ووعيه في التقاط الجوهري من الموروث الأدبي الذي سيشكل عماد النص الإبداعي فيما بعد وليس زخرفة أو زينة يزين بها الروائي نصه السردي ليحقق من خلال تفاعلهما نصا روائيا قابلا للاستعادة القرائية في كل مكان وزمان.

[24] – الرواية ص202.

[25] – الرواية 144/92/82 /77/63/52/51/26/18

المرجعية الاجتماعية:

إن إفادة الراوي من هذا الموروث يساعد ((على إحداث تواصل حميم بين المبدع والمتلقي، يتأسس على مبدأ اشتراكهما في الخطاب اليومي المحكي ذي الدلالات الحيوية الراهنة)).[26]

وتنهض هذه المرجعية على وجود تواصل حميمي بين العديد من العادات والتقاليد والقيم والطقوس التي يمارسها الافراد والتي تكون متوارثة من جيل سابق أو أجيال سابقة، فالعادات ((هي ما اعتاده الناس، وكرروه في مناسبات عدة ومختلفة. أما التقاليد فهي أن يأتي جيل، ويسير على نهج جيل سابق، ويقلده في أمور شتى، والعادات والتقاليد سلسلة تنتقل حلقاتها من جيل لآخر، وقد يصاحب هذا الانتقال بعض التغيرات بالزيادة أو النقصان، سلبا أو ايجابا، بما يتفق مع ظروف وقيم كل جيل ...)).

في الرواية الكثير من العادات والتقاليد التي وظفها الراوي وجاءت جزءا أساسيا ومكملا للحدث الروائي، فهناك تقليد خاص للاحتفال بالشّعر على طريقة السلف مثلما يقول الكاتب: "فقد كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس، وتتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم وإشادة لذكرهم"[27].

وهناك عادات وتقاليد ايضا يمارسها الإنسان تطرق اليها الكاتب فيقوله" أنا لا أطرح أوهاما ترضية لبعض التقاليد البالية، شأن هذه العادة وسلسلة أخواتها لاستدفاع الخدر

---

[26] – ابراهيم مصطفى "فضاءات التشكيل في شعر عبد الله رضوان" دار اليازوري العلمية – 2011 ص 49.

[27] – الرواية ص 162

بنداء الحبيب، وعلاج الغيبوبة بوضع المفتاح في يد المغمى عليه، وإيقاد النار وراء الضيف الثقيل، وارتداء المسافر الثوب مقلوبًا إذا ضل الطريق .... وإنما أريد جوابا لمسألة شائكة.[28]

انبثقت هذه التقاليد من ذاكرة الشعوب وكان لها دور كبير في أن شرع أبواب الرواية على الكثير منها وتوافرت على مرتكزات جمالية ودلالية وأسلوبية بما يشي بثقافة الروائي وارتباطه بذاكرة الشعوب والمجتمعات المتوارثة عبر أجيال عدة، مما يفصح عن تأثير البيئة الاجتماعية على الفرد.

لقد كان الروائي على وعي تام بأهمية هذا الموروث لاسيما وان النصوص الروائية لا تستغني عنه، طالما ان الرواية نص إبداعي مكتوب في ظرف اجتماعي معين ويحرص على ان يكون ديوان المجتمع الذي يترسب في قاعه وينتج ويتوالد معه باستمرار.

<u>دوافع كتابة الخلفيات الفكرية</u>:

حديث الأبطال في رواية رائحة خبز الصباح:

–مملوء بالأفكار التي ويصارع من أجل الافكار، وهو ما يمكن ان نجده في مقدمة الرواية وفي حديث ابطالها.

– ولحظة إشراق هذه الافكار خلاصة تجارب عاشها الشاعر "عمر " في سبيل نشر قصيدته، مثّلت افكاه في العالم الثقافي، الأفكار التي تعبّر عن نفسها في نشاطات الانسان المعاصر يكشف فيها القارئ ذاته، ويعيش التزامه الاجتماعي من خلال امتداد نصيّ يمنح القارئ حب الحياة ويحثّه على الانطلاق.

[28] – الرواية ص49

– وإيحاء القصيدة قراءة للبشر في عالمهم المعاصر: تُراجع الماضي بوعي وترصد الاضر بوعي. وكان الاهتمام فيها بالأفكار والأخلاق أكبر من اهتمام مؤرخ.

–الماضي والحاضر فيها يسيران معاص بهدف ترسيخ فكرة مفادها كيف يمكن التعامل مع الآخر؟

رواية تحاول أن تنطلق في سردها من حياة الانسان المعاصر بأفكاره وقيّمه وتكنولوجيات العصرنة وآثارها على حياته.

–وأن زمن رواية " رائحة خبز الصباح" يعمل في ذاتيّة الإنسان، وفي عقليته.

دوافع كتابتها:

ومن الاسلة التي تشرع الكتابة في مثل هذه الموضوعات على اتساعها بين الملفوظ والذاكرة الجماعية والحضارية للمجتمع، والمؤشرات النصيّة التي من شأنها دفع المتلقي إلى ممارسة التأويل تكون كالآتي:

– قضايا المعرفة بصورة مفاهيم تميّز بين الاشياء وعالم الكون، والاشياء الجديدة التي تجعل الرؤية مفتوحة على المستقبل.

وهذا ما يمكن أن نعرضه في عمل يسائل النص، ويفك شفراته م خلال الاستعانة بداخل النص أو خارجه أو السيرورة التدليلية، ومعرفة تتوفّر على توازي بين التركيب والدّلالة.

– مكان الرواية: هو جغرافية الامة الافتراضي، من ثم فإن الشاعر "عمر" لا يعيش بمعزل عن عالمه مما يجعل الظروف التي تحيط به لا تُخلق حسب هواه، وإنما يظهر تأثيرها في معالم الحياة كلّها إنسانا مادة وإبداعا منذ القدم، وحتى العصر الحديث، وهذا ما يجيب عنه سؤال "أين".

وتأتي "متى" في اسئلة رواية "رائحة خبز الصباح" لتجع لزمان يمتد امتداد الماضي والحاضر، ويسيران معا. لذلك كثر الحديث في الرواية ن جغرافية حفرها التاريخ، وراية رفعها الأجداد، وابجدية أضاءت الدروب، وقصيدة موازية لرهبة الحياة في كل زمان منذ دولة بني عبد الواد بما يمثله ذلك التاريخ من شؤم، وتوالت الأحداث حتى ثورة التحرير الجزائرية الكبرى، وثورات التشييد والبناء بعد الاستقلال.

كما يمثل السؤال "كيف" مفتاحا من مفاتيح النفس في معرفة الحقيقة.

أما سؤال " لماذا" في الرواية فكما هي تأخذ إعرابها على أوجه مختلفة، فهي تفتح للكلام ليكون حمّال أوجه فيقذف بالعلامة من موقعها التركيبي إلى عالم جديد من الدلالات التي توفرها سياقات النص، ولماذا لم يستطع الشاعر عمر نشر قصيدته ي زمن العولمة وكل الوسائل متاحة لذلك.

وهكذا تكون هذه الملفوظات الأكثر بساطة تنطوي على إيحاءات توحي بدلالات أخرى تضاف إلى دلالات مباشرة عن سبب عدم نشر قصيدة الشار عمر على الرغم من أنه وهب للقصيدة ما يليق قمتها وسألتها وما يليق بها فكان لها ميلادا ومعنى ووعيًا أبهج أصدقاءه مروان، خالد، والصحفي أحمد.

–مثّل الشاعر عمر في رواية رائحة خبز الصباح، العقل الباحث ن الحقيقة كلامه حديث العقل. إنّه يجرب، ويلاحظ، ويرى وينظر، يستنتج، ويتكيف مع المواقف الجديدة ويخطأ ويحاول الكرة. وكل هذه القضايا يمكن التمثيل لها من النص.

وهكذا جاءت رواية رائحة خبز الصباح تبحث حفر في خفايا الزوايا ل "عيسى مومني" تبحث فيما هو عليه واقع الحياة، والاجتماعي" ومنطق المسائل، والآخر المستفيد و "الأنا" المغيّب.

وهو طريق شاق يقطعها الشاعر عمر حاملا على كاهله ثقل الماضي، وتثبيط الواقع ومعاكساته، وهو ما تلخصه العناوين الفرعية في الرواية: تقرحات الروح، ميلاد قصيدة كلمات يفهمها العقل، حين يناسب الاستفهام الحال، وفرقتنا القصيدة، وعي القصيدة ن فطرة العودة الى القصيدة، الآخر المستفيد و"الأنا" المغيّب.

ولكي يكون للحياة معنى فلا بد للقصيدة أن تجد طريقها للنشر. وهو ما توفّر في رواية رائحة خبز الصباح من مجال معرفي للعصر، وتساؤلاته التي تؤرق في مناحي مختلفة من الثقافة، والسياسة، والاجتماع، كما تكشف أن الكتابة ليست وليدة الخيال فقط، وإنّما وليدة المعايشة.

وهكذا اتخذت رواية "رائحة خبز الصباح " من الجانب الفكري الذي يغذيه التاريخ الحافل بالمواقف، ومن الأسلوب ارمزي تمثل فيه القصيدة الوطن بكل مقوّماته، فهي تغذي الأمل، وتحكي مسرات الإنسان وأحزانه. وتدفع المؤشرات النصية وغير النصية إلى ممارسة التأويل. فكانت ثقافة التعدد أجهزة عرفانية في رواية رائحة خبز الصباح بقدر ما هي أجهزة تلفظ.

خاتمة

خاتمة

سعت هذه الدراسة أو المقاربة إلى فحص المرجعيات اللسانية والفكرية في رواية رائحة خبز الصباح، اتخذت وسائل لسانية لتحليل مستويات النص وأخرى فكرية متمثلة في الجوانب الدينية والتاريخية والاجتماعية وأخرى دينية، وقد أثمر البحث جملة من النتائج أهمُّها:

مصطلح "**مرجعية**" في العربية مقابلا للمصطلح الأجنبي (فرنسي أو إنجليزي)

" فهي كلفظة مفهومها في الثقافة الغربية لا يبتعد **Référence**" " أو**Référentiel**"

كثيرا عن مفهومها في الثقافة العربية، فهي مصطلح استعمل للبحث عن علاقة العناصر اللّغوية وما تعبر عنه من الأشياء الموجودة في العالم الخارجي، بمعنى ارجاع المعاني إلى موضوعاتها.

حاولت اتجاهات اللسانيات الحديثة الاستدراك على فردينان دي سوسير في مسالة دور المرجع في تفسير الظاهرة اللّغوية ووصفها، والمرجع في معناه الأصلي هو الشيء المسمى، فهو متعلق بمرحلة اكتساب اللفظ حين تعلم اللغة، وفي معناه العام في اللسانيات هو كل مؤوَّلٍ لعنصر مبهم أو مُحِيلٍ سواء أكان من عالم النص أو من خارجه. والإحالة هي وظيفة النص اللساني التي تقود إلى المرجع.

المرجعية هي سمة الشَّكل اللساني الذي يؤدي الوظيفة، فإذا كان الأمر يتعلق بالمرجع في معناه الأصلي تكون المرجعية هي التجربة التي تفسر دلالة الأشكال اللغوية، وهي كل ما يؤوَّل العناصر المحيلة بناء على القرائن التي يوفرها النص.

تكمن مرجعية المتخيل الروائي في أنَّ كل متخيل هو من إبداع الذهن الإنساني باستحضار الصورة وتركيبها، ولا يكون ذلك إلا باللّغة.

تناولت الدراسة بنية التحليل اللساني في رواية "رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا" للروائي عيسى مومني، وذلك من خلال دراسة المستوى الصوتي، والصرفي

والنحوي، والدلالي، وخلصت الدراسة إلى استخراج جملة من الخصائص منها دلالة تكرار الأصوات في الرواية وأنماط إيحاءاتها، أبنية الأسماء والافعال، والجمل النحوية ذات الأساليب الخبرية، والجمل الاسمية، وأيضا الترادف والتضاد.

كما تناولنا في الدراسة تعريفات للمرجعية الفكرية وتوصلنا إلى أن ارجاع الفكرة في الرواية الى اصلها هو شكل من اشكال الدراسة الثقافية التي تحاول استجلاء النصوص الأدبية والبحث فيها بوصفها وثائق تاريخية او اجتماعية وضح طريقة المؤلف الحقيقي في توجيه السرد وغايته.

يعتمد الروائي في الكثير من الأحيان غلى تضمين نصه الروائي بالكثير من المرجعيات التي تعمل على خدمة البنية السردية وتحمل في الآن ذاته دلالة تعبيرية وأسلوبية وارتقاء بالنص السردي.

تناولت دراسة المرجعية الفكرية في رواية "رائحة خبز الصباح بعض المرجعيات الدينية والأدبية والتاريخية والاجتماعية وخلصت الدراسة إلى مجموعة من الخصائص:

أن الروائي وظف الكثير من التعابير، والتراكيب القرآنية ، التي أصبحت بمثابة المعجم اللغوي الذي استند عليه.

أن استحضار التاريخ في " رائحة خبز الصباح " يقوم على مستويين: (مستوى المراحل الزمنية ، ومستوى الشخصيات والأحداث)، فعلى مستوى المراحل الزمنية نجده يتعامل مع مرحلة الاحتلال الفرنسي ، أما المستوى الثاني في تعامل مع الأحداث التاريخية تظافرت وتداخلت لتحرك المتن الروائي وتنسج خيوطه.

أن وجود هذا الكم الهائل من المرجعية الأدبية إنما يكشف عن ثقافة الروائي وسعة اطلاعه على الموروث الأدبي الذي يحتم منه التسلح بكل الإمكانيات القرائية.

أن الروائي على وعي تام بأهمية الموروث لاسيما وان النصوص الروائية لا تستغني عنه، طالما أن الرواية نص إبداعي مكتوب في ظرف اجتماعي معين

خاتمة

تبدو الرواية من زاوية رؤية المتلقي تجسيدا لواقع بناية يرمز إلى دولة محتقنة بالثورة، وذلك متجلي بكثرة في قوله وتمثيلات الطغيان التي مارسها الاستعمار.
لم يكف السارد بوصف الشخصيات بل وصف الأمكنة والأشياء ومنها حمام دباغ بقالمة، جبال الشريعة، حمام ملوان، غابة باينام، والعجائب السبع بين بجاية وجيجل وإلى غيرها من الأماكن.

حملت الرواية بأبعادها الدينية والتاريخية والاجتماعية والأدبية، أوضاع عاشتها الجزائر أثناء فترة الاحتلال حيث صورت لنا الواقع المعاش الذي يخلفه المستعمر ونتائج الجرم الذي مارسه، كما رصدت ظاهرة الانحلال الأخلاقي في المجتمع، وأبان عن أسبابه المتمثلة في الفقر، التشرد.

تركيز الكاتب على الجانب النفسي للشخصيات خاصة البطل "عمر" التي اتسمت شخصيته بالتذبذب والحزن والألم، ومن أعماقه تكونت شخصية واضحة المعالم.

احتل الحوار جزء كبير من الرواية، وذلك لتقريب الرواية من الواقع.

تم السرد على المستوى النحوي عن طريق جمل فعلية في معظمها، جاءت متراصة ومتوازية ذات طاقة سردية، وجمل اسمية تقريرية، تنمي مسار الأحداث وتلازمها.

احتشدت الرواية بمعاني نفسية وعاطفية عبر عنها الروائي من خلال وحدات معجمية ذات دلالة معنوية من قبيل: الخوف، فقد الهوية، البطالة...

لغة الرواية متمكنة، متماسكة، ألفاظ سهلة، ومقبولة لدى القارئ.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

- عيسى مومني "رائحة خبز الصَّباح حفزٌ في خفايا الزوايا"، سلسلة الكلم المعارف للطباعة، ط1، 2018.

المعاجم والقواميس:

- أبي البقاء الكفوي: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مادة"صوت"، ص562 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط2، 1419–1998م.
- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ط2، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع 1972م – ج1.
- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، المحقق: إبراهيم شمس الدين ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 1429هـ/2008م، مج1
- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، المحقق، عبد الرحمان هنداوي، دار الكتب العلمية، 1424/ 2003، ط1، ج2.
- داود سلوم وآخرون، كتاب العين، معجم لغوي تراثي، ط1، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت/ لبنان 2004 م.
- عبد القادر الفارسي الفهري: معجم المصطلحات اللسانية، دار الكتاب الجديد المتحدة، المغرب 2007م.
- العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، 1425هـ/2004م.
- الفيروز ابادي، محمد بن يعقوب ين ابراهيم، القاموس المحيط، بيروت مؤسسة الرسالة، 2005، باب فكر.
- مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جوهر القاموس، تحقيق محمود محمد طناحي، وزارة الإعلام الكويت، 1993، ج21.
- المعجم المفصل في علوم اللغة، محمد التونجي، راجي الأسمر، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان ط 1، 1414هـ، 1993م.

المراجع العربية:

- عبد الحميد عبد العظيم القط، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، دار المعارف، القاهرة (د.ط) 1980.
- عبد الله المسدي، اللسانيات واسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986.
- نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ط1، عالم الكتب الحديث وجدارا للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، 2009م.
- شرف الدين الراجحي: مبادئ علم اللسانيات الحديث، سامي عياد حنا، ص75 ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، دط، 2002 م.
- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق، نخبة من الأساتذة، ط1، مج7، مادة "قص" مصدر سابق.
- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، ط6، دار صادر بيروت/ لبنان، مج6.
- أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، شرح وضبط ومراجعة: يوسف الحمادي، ط1، مكتبة مصر، القاهرة 1431هـ/2010م، ج4.
- احسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق، دمشق ،2006.
- أحمد محمد قدور، مبادئ للسانيات، دار الفكر، سوريا، ط1، 1999.
- آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل الى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ط2/ 2011.
- برنار فاليط، النص الروائي، تر/رشيد بن حدون المشروع القومي للترجمة، باريس، (د.ط) 1992م.
- بشير بويجرة محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع (د.ب) 2002.
- بلخير عمر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ط1، منشورات الاختلاف الجزائر 2003.

- بوطارت محمد الهادي وآخرون: المصطلحات اللسانية والبلاغية والاسلوبية والشعرية، دار الكتاب الحديث، 1431هـ/2010م.
- جورج مونان: ترجمة جمال الحضري، معجم اللسانيات ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت / لبنان، 2012.
- حمادي صمود من تجليات الخطاب الأدبي.
- حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2005.
- حورية الظل، الفضاء الروائي بين الواقع والتخيل، المجلة العربية، (د.ب) ع450، رجب 1435هـ مايو 2014م.
- الخطيب محمد كامل، الرواية والواقع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط1
- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مادة " دلل "، تحقيق :محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، دط، دت.
- رزاق محمود الحكيم –المرجعية الأدبية وتجليات القراءة في النص الشعري.
- روزنتال، البودلين، الموسوعة الفلسفية، تر: يوسف كرم، الطبعة3، بيروت، دار الطليعة 1985
- الزمخشري: أساس البلاغة، مادة" دلل، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان، دط، 1426 هـ 2005
- سعيد شوقي محمد سليمان: توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، ايتراك للنشر والتوزيع/ ط1.
- سميح أبو مغلي: دراسات لغوية، ص101، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان–الأردن ط1 1425هـ، –2004 م.
- شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، اتحاد الكتاب.
- شرف الدين الراجحي: مرجعية بناء النص الروائي، دار ورد للنشر والتوزيع.
- صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية الأزاريطة– مصر، دط، دت.
- صبحي إبراهيم الفقى: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ط1، دار قباء، القاهرة، 2000م ج1،3.

- صلاح فضل، علم النص وبلاغه الخطاب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب، الكويت العدد164، صفر 1413هـ/ آب 1992م.
- طارق علي، تأملات في الرواية والتاريخ، دار الكتب القطرية (د.ط)، 2005م.
- الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م، ج3.
- عبد االه العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت ط2 1988.
- عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، دراسات في الرواية العربية، دار الحقيقة للإعلام الدولي، ط1.
- عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومه، الجزائر، 2007.
- عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م.
- عبد الواسع الحميري: ما لخطاب وكيف نحلله، ط1، مؤسسة مجد، 2009م، ص34.
- علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة 2000م، هامش ص46.
- علي عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة العام.
- فرانك نوفو، ترجمة: صالح الماجري، مراجعة، الطيب بكوش، قاموس علم اللغة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت/ لبنان، 2012م.
- فرديناند دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1985.
- قاسم عبده قاسم، التاريخ والرواية، تفاضل أم تكامل.
- محمد احمد قاسم: قدم له وعلق وشرح غريبه، أساس البلاغة، المكتبة العصرية صيدا بيروت/لبنان، 1426هـ/2005م.
- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون الأردن، 1428هـ/2007م.
- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي كبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر،1951.

- محمد سعيد اللحام، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وفق نزول الكلمة، ضبطها ورتبها، ط8، دار المعرفة، لبنان، 2010م.
- مرتاض عبد المالك: تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللّغة، الجزائر، 2005.
- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 2000
- نايف سليمان وآخرون: مستويات اللغة العربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن ط1 1420هـ -2000م.
- نجم عبد الله الحوسني :علاقة الخلفية الاجتماعية والاقتصادية للأسرة بانحراف الإحداث، مشروع بحث مقدم للحصول.
- نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت لبنان، 1994.
- نعيمة سعدية: لسانيات النص المرجعية الفكرية واستراتيجية التلقي، أستاذة علوم اللسان وتحليل الخطاب جامعة محمد خيضر بسكرة– الجزائر، عالم الكتب الحديث، إربد . الأردن 2017.

المراجع الأجنبية:

- André martinet ,élément de linguistique Générale ,Armande colin ,paris.
- Anne Rebol et jaques moeschle, pragmatique du discours, armand colin paris, 1998.
- David Grystal: dictionary of linguistics and phonetics and phonetics ,sixth edition ,Blackwell publishing LTD ,2008.
- Dictionnaire de linguistique ,imprimerie "la tipografica Varese S.P.A " Italy ,janvier 2001.
- Dictionnaire du français ,imprimerie hérissey ,Enreux ,1997.
- El kenz –Des synonymes de langue française ,Edition Achache Algérie 2003.

- Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage.
- John Lyons : Linguistique générale.
- Michel Aurnague : les structures de l'espace linguistique.
- Michèle Perret : L'énonciation en grammaire de texte. Armand Colion Paris 2005.
- oxford Elementry learn's Dictionnary (English-Arabic) ، First published oxford university press.
- Taylor and Françis group: Encyclopedia of linguistics ,fitzrory dearborm New york ,Volume.

- إدوارد سابير، اللغة (مقدمة في دراسة الكلام)، ترجمة: المنصف عاشور، الدار العربية، للكتاب تونس، 1995م، ج1.
- بول ريكور: من النص إلى الفعل. ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى: 2001.

الأطروحات الرسائل الجامعية:

- على درجة ماجستير، قسم علم اجتماع، الإمارات، 1994.
- محمد بن مصطفى، التاريخ والمتخيل في ثلاثية الجزائر لعبد المالك مرتاض-الملحمة- الطوفان الخلاص، رسالة ماجستر في الأدب العربي، إشراف الدكتورة حليمة الشيخ، جامعة وهران، الجزائر 2014،2015.

فهرس الموضوعات

العنوان **الصفحة**

إهداء

شكر وعرفان

خطة البحث

مقدمة..... **أ، ب، ج، د**

مدخل

السيرة الذاتية للكاتب..... **06**

المقالات المنشورة:..... **06**

المداخلات الوطنية والدولية:..... **07**

الكتب المطبوعة:..... **07**

تعريف الرواية:..... **08**

الفصل **الأول: المرجعية اللسانية والفكرية**

أولا: المفهوم المعجمي والاصطلاحي

في الثقافة العربية..... **12**

في الثقافة الغربية..... **20**

ثانيا: المرجعية اللسانية

لسانيات سوسير..... **24**

فهرس الموضوعات

المرجعية اللسانية..... 30

1 – مفهوم المرجع..... 32

2 – مفهوم الإحالة..... 33

3 – مفهوم المرجعية..... 35

4 – مرجعية المتخيّل الروائي..... 36

مستويات التحليل اللساني..... 39

1 – المستوى الصوتي..... 39

2 – المستوى الصرفي..... 40

3 – المستوى النحوي..... 40

4 – المستوى الدلالي..... 41

ثالثا: المرجعية الفكرية والدلالية

مفهوم المرجعية الفكرية..... 43

الفكر لغة..... 43

الفكر اصطلاحا..... .44

المرجعية الدينية..... .45

1 – النص القرآني..... 46

2 – القصص القرآنية..... 46

المرجعية التاريخية..... 48

المرجعية الأدبية..... 51

المرجعية الاجتماعية.....53

الفصل الثاني: مستويات التحليل اللساني والمرجعيات الفكرية في الرواية

قراءة في الرواية.....57

أولا: مرجعيات التحليل اللساني في رواية "رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا".

المستوى الصوتي..... 59

1 – دلالة تكرار الأصوات في الرواية 59

2 – أنماط إيحاء الأصوات..... 63

3 – لجناس..... 64

المستوى الصرفي..... 65

1 –أبنية الافعال..... 65

2 –أبنية الاسماء..... 67

المستوى النحوي..... 69

1 –الجمل النحوية ذات الاساليب الخبرية..... 70

2 –الأساليب النحوية ذات الجمل الإنشائية..... 71

النداء..... 71

الأمر..... 72

الاستفهام..... 73

المستوى الدلالي..... 74

1 -الترادف..... 75

2 -التضاد..... 76

ثانيا: المرجعيات الفكرية في نص الرواية.

المرجعية الدينية..... 78

المرجعية التاريخية..... 80

استدعاء الأحداث التاريخية..... 82

الشخصيات التاريخية..... 83

المرجعية الأدبية..... 84

المرجعية الاجتماعية..... 87

دوافع كتابة المرجعيات الفكرية..... 89

خاتمة..... 93

قائمة المصادر والمراجع..... 97

فهرس الموضوعات

الملخص

تعتبر الرواية هي الجنس الأدبي المعاصر بامتياز، فقد احتلت مساحة واسعة من اهتمام النقاد والاتجاهات النقدية المعاصرة، لما لها من قدرة على استثمار المواد الإبداعية اللغة والأسلوب والأفكار، والعواطف، وتصوير للشخصيات وعرض مواقفها من المجتمع والحياة، وعلاقاتها بجميع المستويات الدينية والاجتماعية والتاريخية والثقافية ولكن قبل هذا وذلك، فالرواية نص أدبي، أي أنها نسيج لغوي، لأن اللغة خيوط هذا النسيج الفني ومادته الخام، حاملة معانيه، وحاجبتها في الآن نفسه، تغري القارئ بظهورها المستتر، فمداخلتي تمحورت حول متابعة دور المرجعيات اللسانية والفكرية في تتبع المعاني والدلالات داخل النص الروائي، بعدها واحدة من محاضن التصورات المختلفة للعالم وذلك عبر تقديم قراءة لبعض الخيارات على مستوى اللغة ودلالاتها المختلفة في روايتي "رائحة خبز الصباح حفرٌ فِيْ خَفايا الزوايا" سعيا لرصد جوانب مرجعيات التحليل اللساني من خلال رصد مستويات اللغة من صوت، وصرف، ونحو ودلالة، وتمثيل المرجعيات الفكرية، لتفسير علاقة الإنسان بالوجود ومواقفه من التاريخ والزمان، ثم ارتباطه بالمكان. فالأمر الذي لا خلاف فيه هو أنَّ اللّغة هي القادرة على ترجمة مختلف الرؤى والأفكار، ومنطق النص الداخلي هو منطق اللّغة بوصفها انتاجا للمعنى، ومنطق اللغة هو تلك المبادئ والأسس والعلاقات القابلة لا لإنتاج معاني مختلفة فحسب، بل لإنتاج منظومات فكرية وأيديولوجية مختلفة لكل منها منطقها الخاص المستند إلى منطق اللغة العام.

الكلمات المفتاحية:

المرجعية، المرجعية اللسانية، المرجعية الفكرية، الرواية، المرجع، الإحالة، مرجعية المتخيل، المستوى الصوتي، الصرفي، الدلالي، النحوي، المرجعية الدينية، التاريخية، الأدبية، الاجتماعية.

Abstract:

The novel is considered the contemporary literary genre par excellence as it occupied a wide area of the attention of critics, and contemporary critical trends, because of its ability to invest in creative materials

language, style, ideas, emotions, and portrayal of characters and presentation of their positions on society and life, and their relations with all levels of religious, social, historical and cultural But before this and that, the novel is a literary text, that is, it is a linguistic fabric, because language is the threads of this artistic fabric and its raw material, carrying its meanings and veiling it at the same time, tempting the reader with its hidden appearance, so my intervention focused on following up the role of linguistic and intellectual references in tracing meanings and connotations within the text The novelist, then one of the incubators of the different perceptions of the world, by presenting a reading of some options on the level of language and their different connotations in my novel “The Smell of Morning Bread is Digging in the Hidden Corners” in an effort to monitor the aspects of linguistic analysis references by monitoring language levels of sound, morphology, grammar and semantics And the representation of intellectual references, to explain the relationship of man to existence and his attitudes towards history and time, and then his connection to the place. The matter in which there is no dispute is that language is capable of translating various visions and ideas, and the logic of the inner text is the logic of language as the production of meaning, and the logic of language

is those principles, foundations and relationships capable of producing not only different meanings, but also the production of different intellectual and ideological systems, each of which has its own logic. Based on general language logic.

The key words

Reference, linguistic reference, intellectual reference, novel, reference, referral, imaginary reference, phonetic, morphological, semantic, grammatical, religious, historical, literary and social reference.